دراسات في فهم المستشرقين للإسلام

د. توفيق يوسف الواعي

تمهيـــد :

الصراع بين الحق والباطل قديم قدم البشرية، وأكثر من تعرضوا لهذا الصراع هم حملة الرسالات والمصلحون في كل أمة من الأمم، ولقد حظيت الأمة الإسلامية بالنصيب الأوفر من هذا السعار المحموم في القديم والحديث، لإحساس الباطل بقوتها وحيويتها وانتصارها في كل ميدان، فأنبرى لنيل منها جحافل الحاقدين والموتورين من رجال السياسة واللاهوت، وتفرغوا لذلك، وأنفقوا عليه، وحركوا وحرضوا شعوبهم للقضاء على الإسلام، وغزوه في عقر داره، في حملات صليبية مشهورة، استمرت حوالي مائتى عام، أرتدوا بعدها مدحورين مهزومين، وتكررت المحاولة، وتكرر الإخفاق، فعزموا على أن يتجهوا إلى الغزو الفكري والثقافي، وأن يتوصلوا بذلك إلى إزاحة المسلمين عن مصدر قوتهم وإلهامهم وهو الإسلام، فكونوا جمعيات التبشير التي مازالت تواصل عملها إلى اليوم، والتي كانت إلى عهد قريب تتألف مع الأسف من رجال الدين المسيحي واليهودي، الحاقدين على الإسلام والمسلمين، الذين يعنون بالدرجة الأولى بتحريف الإسلام، وتشويه جماله، وبلبلة المسلمين، وتشكيكهم في دينهم، وعقيدتهم، وحضارتهم.

وقد أخذت بحوثهم طابعاً اتسم بظواهر معينة، عددها الأستاذ الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله ـ نذكر منها:

١ ـ التشوية المتعمد لكل مايتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده.

٢ ـ التشوية المتعمد لصورة رجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم.

٣ ـ تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور وخاصة في العصر الأول بالهمجية والتفكك والأنانية.

٤ ـ تصوير الحضارة الإسلامية تصويرا دون الواقع ، والتهوين من شأنها واحتقار آثارها.

٥ ـ الجهل بطبيعة المجتمع الإسلامي ، والحكم عليه من خلال أغلاط وتصورات خاطئه مغرضة.

٦ ـ إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم ، والتحكم فيما يرفضونه ويقبلونه من النصوص.

٧ ـ تحريف النصوص في كثير من الأحيان تحريفاً مقصوداً.

٨ ـ تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها ، فهم ينقلون مثلا من كتب الأدب مايحكمون به في تاريخ الحديث ، ومن كتب التاريخ مايحكمون به في تاريخ الفقه ، ويصححون ماينقله الدميرى في كتاب الحيوان ، ويكذبون ما يرويه «مالك» في «الموطأ» ، كل ذلك انسياقا مع الهوى[1].

هذا ، وقد تصدى لهؤلاء المستشرقين الموغلين في الحقد والتشفي جماعة من الباحثين الذين ظهر لهم نور الحق فأسلم بعضهم ، وبقي البعض الآخر على دينه ، ولكنه احترم الحق وقال به ، وإن كانت له بعض الهنات التي لم يستطع أن يتخلص منها ، إما لرواسبه القديمة ، أو لأخطاء منهجية أو لغوية ، فقد تقف اللغة حجر عثرة في سبيل فهمهم للحقيقة ، حيث أن القرآن مليء بالاستعارات ، والتشبيهات ، والكنايات البلاغية التي يعجز الكثيرون عن إدراك معانيها وأهدافها ، فيقعون في أخطاء قاتلة.

كما أن عدم دراية كثير من الباحثين بالاصطلاحات الإسلامية والفقهية

(١) انظر في ذلك السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي د. مصطفى السباعي ط المكتب الاسلامي ط الثانية ١٩٨٧م.

المتعدد، وعدم وجود الخلفية الإسلامية ـ زيادة على صعوبة الاتصال بكتب التراث ـ جعل الكثيرين يتوهمون أشياء لاتمت إلى الحقيقة بصلة.

وهناك صنف آخر عرفوا الحق ولم يحاولوا أن يخدعوا أنفسهم أو قومهم، ولكنهم استعملوا هذه المعرفة بحقيقة الإسلام، في تحذير قومهم من حيوية الإسلام وقدرته على الحياة والتوسع، كما استعملوا هذه الحقائق في رسم الخطط ضد الإسلام والمسلمين، ويحاول هذا الصنف مع أصدقائهم من الساسة الاستفادة من كل البحوث في الإسلام، وممن تجندهم لدراسة الإسلام، ومن هواة الدراسات الإسلامية على حد سواء، لأنها تريد أن تبنى تخطيطها لضرب المسلمين، وتشكيكهم في عقيدتهم، على معلومات صائبة ودقيقة، حتى تحصل على نتيجة جيدة في مجال عملها.

لذلك فهي تستفيد حتى من بحوث المسلمين الذين يتوجهون إلى جامعاتها، وتحضهم على اختيار موضوعات تخدم مايريدون.

ونحن بدورنا نكشف هؤلاء بهؤلاء، نكشف الحاقدين الناكرين لنور الإسلام بأقوال غيرهم من الباحثين المتجردين للمعرفة، سواء كانوا مخلصين، أو محذرين لقومهم من الحقائق الإسلامية، والهداية الربانية، وكل هذا لايخدعنا، ولايزيدنا إلا إيمانا بالإسلام وبفاعليته، وجدواه وقدرته على بعث النار في الرماد الخامد، ونفخ الروح في الجسد الهامد لأن لنا ـ والحمد لله ـ عقولا تعرف الصواب من الخطأ، وتقدر النعمة المسداة.

كما أننا لانكتفي بهذا بل، نرد على هؤلاء الجناة من الكهان المناكيد بالحجة والبينة، ليكون في هذا رد على أذنابهم من المفترين، وتبصرة لغيرهم من المفتونين المخدوعين، وإن كان هذا لايقدم ولايؤخر بالنسبة لعظمة الإسلام في ذاته، ومكانته في العالمين. لأن العظيم لايمسخ صغيرا، لأن ظنون المعتوهين أخطأت فهمه.

ومن قرون طوال دب على أرضنا هذه نفر من الخلق نظروا إلى صاحب الرسالة العظمى شذرا، ثم قال بعضهم لبعض: «ياأيها الذي نزل عليه الذكر أنك لمجنون»، وقال بعض آخر: «هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحداً؟».

ومضى صاحب الرسالة في طريقه يبذر الخير والحق، وينشر العلم، ويحي القلوب وينشيء من الأمم التي استهلكتها الخرافة أجيالا ناضرة، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور.

ولطالما استطالت ألسُن في حق العباقرة، فما أثمرت الاستطالة شيئا إلا انقطاع أصحابها بلغطهم، وخلود الأبرار بمبادئهم وأهدافهم، ولله در القائل:

يـا ناطحـا جبــــلا يومـا ليوهنـه

أشفـق على الرأس لاتشفـق على الجبـل

حمى الطعون:

أصيب المستشرقون بالحمى، فصاروا يهذون بطعون ضد الإسلام ورسالته، ونبيه وكتابه، في لوثات عقلية وفكرية مقززة، وبخلل منهجي وعلمى فاضح، وبحقد وتجن وكراهية غريبة، يحملون وزرها في التاريخ، وأمام البحث العلمي النزيه، وأمام الضمير الإنساني الباحث عن الحقيقة في ركام المبادىء والأهواء والشطحات، ونحن في عرضنا لهذه اللوثات العقلية المسماة بالطعون، بقدر ما نكشف من جهل وحمق وتضليل، نظهر كذلك مقدار الأحقاد الكامنة ضد الحق وضد المسلمين، عند مدعى الحضارة والبحث العلمي، ومخترعي المنهجيات الحديثة، حتى يفيق الذين هم على آثارهم يهرعون، من ذيول تلك الثقافات وسدنتها من المخدوعين، من بنى جلدتنا، ومن على شاكلتهم من المتيمين العاشقين لأوثان الثقافة الحديثة ورموزها.

هذا وقد قسمت الطعون وردودى عليها في بحثى هذا إلى مباحث حتى نحيط بهذا المطر الأسود قدر الإمكان.

المبحث الأول
المغرضون والمنصفون

لهذا يحسن بنا أن نورد بعض الطعون من الحاقدين على الإسلام عامة، ونورد مايرد عليها من كلام المنصفين من المستشرقين، حتى يكون الرد أبلغ وأمكن، وحتى ترتد سيوفهم في نحورهم، ويظهر الباطل من الحق، والضلال والبهتان من الصدق والعرفان.

أولاً ـ من أقوال بعض الحاقدين من المستشرقين في الإسلام عامة والرد عليها:

كثيراً مايدفع الحقد إلى إنكار الحقائق والرسالات، بل إلى قتل الرسل والأنبياء والهداة، وقد ظهر هذا في جملة من المستشرقين الذين كرسوا أنفسهم للافتراء والتشكيك في الإسلام دون جميع الأديان، ولم ينفع معهم البراهين الإسلامية العقلية والعملية التي بلغت حد الإعجاز والإبهار، وسنورد بعضا من تلك الأباطيل المفضوحة ونرد عليها من أقوال المستشرقين المنصفين، كما ألمحنا قبل ذلك.

ـ يقول «المسيوكيمون» في كتابه (ميثولوجيا الإسلام): «إن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعاً. بل هو مرض مروع، وشلل عام، وجنون ذهني، يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منها إلا سفك الدماء، ثم يدمن معاقرة الخمر، وجميع القبائح!

وماقبر محمد في مكة (؟) إلا عمود كهربائي يبث الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع «الهستريا»، والذهول العقلي، وتكرار لفظة «الله الله» إلى ما لا نهاية، وتعود عادات تنقلب إلى طباع أصلية ككراهية لحم الخنزير، والنبيذ، والموسيق، وترتيب مايستنبط من أفكار القسوة والفجور في الملذات».

ـ ويقول «جويليان» في كتابه «تاريخ فرنسا»: إن محمد مؤسس دين المسلمين

قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم، وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين والنصارى!

ان هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة، وقالوا للناس: أسلموا أو تموتون، بينما أتباع المسيح أراحوا النفوس ببرهم وإحسانهم. ماذا كان حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا؟ إذن لكنا مسلمين كالجزائريين والمراكشيين.

ـ وقال «غلوور» صاحب كتاب تقدم التبشير العالمي، الذي نشره في نيويورك ١٩٦٠ م في نهاية الباب الرابع: «إن سيف محمد والقرآن أشد عدوا وأكبر معاند للحضارة والحرية والحق، ومن بين العوامل الهدامة التي اطلع عليها العال إلى الآن».

وقال: «القرآن خليط عجيب من الحقائق والخرافات، ومن الشرائع والأساطير، كما هو مزيج غريب للأخلاط التاريخية، والأوهام الفاسدة، وفوق ذلك فهو غامض جداً إيمكن أن يفهمه أحد الا بتفسير خاص له، والذي يعتقده المسلم: أن المعبود هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، فالله ملك جبار، متسلط، ليست له علاقة مع خلقه ورعاياه، برغم أن الاسلام يذكر الراطبة الموجودة بينهما».

ثم ينتقد «غلور» شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول: «كان محمد حاكماً مستبداً، وكان يعتقد أن من حق الملك علء الشعب أن يتبع هواه ويعمل ما يشاء، وكان مجبولاً على هذه الفكرة، ةقد كان عازماً علء ن يقطع عنق كل من لا يوافقه في هواه. أما جيشه العربي: فكان يتعطش للتهديد والتغلب، وقد أرشدهم رسولهم أن يقتلوا كل من يرفض اتباعهم ويبعد عن طريقهم»[١].

رد الافتراءات وبيان وجه الحق:ـ

لا يملك الإنسان نفسه عند سماع هذه الأباطيل إلا أن يتصور أنّ المردد لها سكران أو فاقد الوعي، لا يأبه بحقيقة، ولا يلتفت إلى معرفة أو دليل. فنجد مثلاً «كيمون» يصف الإسلام الذي أحيا الأمم، ونبه الدنيا، وأنار العالمين، بالكسل

(١) انظر في ذلك وفي هذه النصوص الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي

والخمول، ثم يمعن في الجهل والتجني والخرافة، فيدعي أن الإسلام كله خمر وجنس ورذائل. هكذا يقول بكل وقاحة وصفاقة، ويصف الاسلام الذي يقرر القاصي والداني بأنه دين الطهر والمثالية، بهذه الأوصاف والنعوت، كأنه يصف حانة من حانات الخمر والعهر التي يتسكع فيها أمثاله في بلاد الغرب الماجن. ثم يأتي على شاكلته «جويليان»، ويتهم الإسلام بالوثنية، ولا يخجل من جهله وسفهه: «فالإسلام هو الذي هدم الوثنية وأزاح الشرك بكل أنواعه وعبدالناس للواحد القهار.

والإسلام هو الذي حرر الإنسان من الخرافة والوهم والشعوذة، ولكن أنى للحاقدين أن يعرفوا ذلك أو يفقهوه، «في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا» ثم يأتي غلوور: فيكون أشد إضحاكا لجهله وسفهه وبذاءته. فيذكر أشياء عجيبة غير متخيلة، فضلا عن أنها غير متوقعة. فيتهم الإسلام أنه ضد الحضارة وأنه لايعرف إلا القهر وكتم الحرية والحق. ولقد ظن في نفسه وهو لايدري أنه يتكلم عن فضائح المسيحية في العصور الوسطى، أو عن محاكم التفتيش الصليبية الغابرة، التي أدارها قومه وبنو عشيرته من الحاقدين السفاحين.

إن الإسلام هو الذي جعل الدنيا تحس طعم الحضارة الحقة في الخلق والعلم والفهم والكشف والعبقرية، بشهادة العقلاء أصحاب المنطق بالحجج والبراهين والأدلة.

ـ يقول: ل. أ. سيد وفي تاريخ العرب العام: «تمتع العرب بقوة نشاطهم التي لامثيل لها، والتي تحدد عصرا مميزا في تاريخ العالم، أما ميولهم فكانت مضادة لروح التعصب الإسرائيلية، ولذلك استطاعوا، أن يندمجوا في الشعوب التي انتصروا عليها، وإذا أردنا أن نبحث كيف أن غزوهم لسوريا وفلسطين واستيلاءهم فيما بعد ذلك على مصر قد أيقظ في نفوسهم روح العلم والرغبة في العمل على التقدم السريع بأنفسهم. فإنه ينبغي علينا أن نضع في حسابنا استعدادهم الطبيعي لاستعمال ملكاتهم[1].

(١) تاريخ العرب العام جـ ٢ ص ٣، ٤. تأليف سيدو.

ـ يقول جورج سارتون في مقدمة تاريخ العلوم : يكفينا هنا أن نذكر قليلا من الأسماء الجيدة التي لم يطاولها في الغرب أي من الأسماء المعاصرة لها : جابر بن حيان ـ الكندي ـ الخوارزمي ـ الفرجاني ـ الرازى ـ ثابت بن قرة ـ البتاني ـ حنين بن إسحاق الفارابي ـ إبراهيم بن سنان ـ المسعودي ـ الطبري ـ أبو الوفا ـ على بن عباس ـ أبو القاسم ـ ابن الجزار ـ البيروني ـ ابن سيناء ـ ابن يونس ـ ابن الهيثم ـ على بن عيسى الغزالي ـ الزركلي ـ عمر الخيام ـ.

وهذه سلسلة من الأسماء الفخمة اللامعة التي لايصعب أن تمتد إلى غيرهم ، فإذا أخبرك أحد أن العصور الوسطى كانت عقيمة من الناحية العلمية ، فاذكر له هذه الأسماء فقط ، تلك التي ازدهرت في فترة قصيرة نسبيا تمتد مابين سنتى ٧٥٠ و ١١٠٠ من الميلاد[١].

إن الخرافات التي يذكرها هؤلاء الذاهلون ماهي في الواقع إلا إفرازات طبيعية للصراع المحتدم بين الإسلام والصليبية ، وفي هذا المعنى يقول المستشرق : منتجمرى وات عن الأوربيين : إن الظلام الذي ينسبه الأوربيون إلى أعدائهم المسلمين ليس إلا تعبيرا في الحقيقة عن الظلام الذي يعيشون فيه ، والذي لايرغبون في الاعتراف به. وهكذا ينبغي النظر إلى التصور المشبوه الذي يخرج من هؤلاء عن الإسلام ، على أنه انعكاس للجوانب المظلمة لوعي الأوربي.

إن الولع المفرط بالجنس الذي ينسبونه إلى المسلمين كان موجودا في أوربا ، لكنه لم يتلاءم مع المثال المسيحي. وكان المسيحيون يرون أن الجنس أمر جسدى ، وأن كل ماهو جسدى تعافه النفس.. وكانت عفة الرهبان تعتبر أسمى من الحياة الزوجية ، وكم كان طريفا لو أمكننا أن نستجلى هل كان الأوربي العادي الذي كان يمدح كلاميا أفضلية العزوبة قد اقتنع بعد الممارسات الجنسية : أن عفة الرهبان خير من الزواج»[٢].

(١) مقدمة تاريخ العلوم الجزء الأول ص ١٧. لسيرجون وأخرين ط النهضة بالقاهرة.

(٢) أثر الحضارة العربية على أوربا ص ١٦٠ ، ١٦١.

أن الجنس أصبح الزاد اليومي للأوربي الذي أراق في سبيله كل شيء، والخمر والمخدرات أصبحت مزاجه الحاضر.. وكل ذلك لايعرفه الإسلام ولايجيزه، لأن الإسلام له طبيعته الطاهرة العظيمة.

ولايحق لأي أوربي أن يتهم الإسلام لأنه هو الذي أخذ بيدهم رغم حقدهم الشديد له، حقد الباطل للحق الأبلج، وحقد الظالم أو السارق للشرطي الذي يحفظ الأمن والنظام، وللنهار الذي يفضح الجريمة، ويكشف الغاصبين والسرّاق.

ـ يقول غستاف لوبون في حضارة العرب: «أحرق رئيس الأساقفة الأسباني سمينيس مخطوطات العرب، وتقدر بثمانين ألف كتاب، وظن أنه بفعلته هذه قد محى ذكر العرب من صفحات التاريخ الأسباني نهائيا. ولم يكن يدرك أن ماتركه العرب من الآثار التي تفيض بها مدن أسبانيا بالإضافة إلى آثارها الفكرية إنما يكفي لتخليد اسمهم إلى الأبد[1].

ـ ويقول ليوبولد فايس «محمد أسد» فيما يتعلق بعداء الغربيين للإسلام:

إن احتقار الأوربيين التقليدي للإسلام، أخذ يتسلل في شكل تحزب غير معقول إلى بحوثهم العلمية، وبقي هذا الخليج الذي حفره التاريخ بين أوربا والعالم الإسلامي «منذ الحروب الصليبية» غير معقود فوقه بجسر، ثم أصبح احتقار الإسلام جزءاً أساسياً من التفكير الأوربي. والواقع أن المستشرقين الأولين في الأعصر الحديثة كانوا مبشرين نصارى، يعملون في البلاد الإسلامية، وكانت الصورة المشوهة التي اصطنعوها من تعاليم الإسلام وتاريخه مدبرة على أساس يضمن التأثير في موقف الأوربيين من الوثنيين. غير أن هذا الالتواء العقلي قد استمر مع أن علوم الاستشراق قد تحررت من نفوذ التبشير ولم يبق لعلوم الاستشراق هذه عذر من حمية دينية جاهلية، تسيىء توجيهها. أما تحامل المستشرقين على الإسلام اليوم فغريزة موروثة وخاصة طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية بكل مالها من ذيول في عقول

(١) حضارة العرب لوبون ص ٢٨٢. ط الحلبي مصر.

الأوربيين»[1].

ـ كما يقول لرويس براون: «ليست الحروب الصليبية وحدها هي سبب العداء والتحامل، ولكنه الإسلام نفسه، الذي هو الخطر الحقيقي، والذي يكمن في نظامه، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته الفريدة، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي[2].

ونقرأ في مجلة العالم الإسلامي «عدد حزيران سنة ١٩٣٠م»: «إن شيئا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي، ولهذا الخوف أسباب:

منها: أن الإسلام منذ أن ظهر في قلة لم يضعف عدديا، بل كان دائما في ازدياد واتساع، ثم أن الإسلام ليس دينا فحسب، بل إن من أركانه الجهاد، ولم يتفق قط أن شعبا دخل في الإسلام ثم عاد نصرانيا».

ـ ويقول المستشرق الألماني «بيكر» بصراحة: إن هناك عداء من النصرانية للإسلام، بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سدا منيعا في وجه انتشار النصرانية، ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها»[3].

ـ ثم يرد الدكتور موريس بوكاي الباحث الفرنسي بعد بحث ودراسة على أقوال المتهافتين في كتابه «القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم» فيقول:

لقد أثارت دهشتي هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن والتي كانت مطابقة تماما للمعارف العلمية الحديثة، ولقد درست هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم سابق، وبموضوعية تامة. بيد أني لا أنكر تأثير التعاليم التي تلقيتها في شبابي، حيث لم تكن أغلبية تتحدث عن الإسلام، وإنما عن المحمديين، لتأكيد الإشارة إلى أن هذا الدين أسسه رجل. وبالتالي فهو ليس بدين سماوي، فلا قيمة له عند الله، وكان

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص ٦٠ بيروت دار العلوم للملايين.
(٢) تحت شمس الفكر ص ١٦ الحكيم. مناهج المستشرقين ١/ ١٢٩ مجلة البلاغ الكويتية عدد ٥٨ ص ١٢.
(٣) مجلة البعث الإسلامي الهندية عدد ٩ السنة الثامنة.

يمكن أن أظل محتفظا كالكثيرين بتلك الأفكار الخاطئة عن الإسلام، وهي شديدة الانتشار.

ولما تحدثت مع بعض المستنيرين من غير المتخصصين عرفت أني كنت جاهلا قبل أن تعطى لي عن الإسلام صورة تختلف عن تلك التي تلقيتها في الغرب، وكان هدفي الأول هو قراءة القرآن، ودراسة نصه آية آية. مستعينا بمختلف التعليقات اللأزمة للدراسة النقدية، وانتبهت بشكل خاص إلى دقة بعض الإشارات الخاصة بالظواهر الطبيعية ومطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن هذه الظواهر نفسها، والتي لم يكن لأي إنسان في عصر محمد صلى الله عليه وسلم أن يكّون عنها أدنى فكرة. ثم قرأت أثر ذلك في مؤلفات كثيرة خصصها كتاب مسلمون للجوانب العلمية في القرآن. وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية فادحة، فإنا لا نجد في القرآن أي خطأ. وقد دفعني ذلك إلى أن أتساءل: لو كان مؤلف القرآن إنسانا، فكيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع العلوم الحديثة؟ ليس هنالك أي مجال للشك: فنص القرآن الذي نملك اليوم هو النص الأول نفسه، ومن ذا الذي كان في عصر نزوله يستطيع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالي عشرة قرون ثقافتنا العلمية؟

حقا، إن في إشارات القرآن قضايا ذات صبغة علمية تثير الدهشة.

«في القضايا التي تخضع للملاحظة، مثل تطور الجنين يمكن مقابلة مختلف المراحل موصوفة في القرآن مع معطيات علم الأجنة، لمعرفة مدى اتفاق الآيات القرآنية فيها مع العلم» (١)

هذه الشهادة لها وزنها واعتبارها من عالم محقق، وباحث مدقق، مثل الدكتور بوكاي الذي درس القرآن آية آية كما قال، ونظر إليه من زوايا تخصصه، فاكتسب بحثه

(١) موريس بوكاي «القرآن والتوراة والعلم» ١٤٤ ـ ١٤٨ ط دار المعارف مصر سنة ١٩٧٧.

طابعا علميا أكاديميا، فخرج بنتيجة تشرف أهل العلم، دون أن يكون في حاجة إلى التأثر بأقوال المستشرقين الذين يهرفون بما لا يعلمون، ثم يزيدون عليها أحقادهم، ويضعون القول في غير موضعه، من غير مراعاة إلى علم أو دليل.

ـ وفي هذا يقول «درمنغم» : من المؤسف حقا أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين في الاستشراق، من أمثال موير، ومرغوليوث، ونولة، وشبرنجر، ودوزي وكيتاني، ومارسين، وغولد زيهر، وغودفروا، وغيرهم، ـ في هدم الإسلام، فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص، ولا تزال النتائج التي انتهى إليها المستشرقون سلبية ناقصة، ولن تقوم سيرة على النبي بدون دليل..... ومن دواعي الأسف أن كان الأب لا مانس ـ الذي كان يفترض أنه من أفضل المستشرقين المعاصرين ـ من أشدهم تعصبا. وأنه شوه كتبه وأفسدها بكرهه للإسلام ونبي الإسلام[1].

ـ ثم يقول «منتغمري وات» في هذا الموضوع : «إذا أردنا أن نصحح الأغلاط المكتسبة من الماضي بصدد محمد ودينه، فيجب علينا في كل حال من الحالات التي لا يقوم الدليل القاطع على ضدها، أن نتمسك بصلابة بصدقه، ويجب ألا ننسى أيضا أن الدليل القاطع يتطلب قبوله أكثر من كونه ممكنا، وأنه في مثل هذا الموضوع يصعب الحصول عليه»[2].

ـ وقد اعترف فولتير بخطئه ضد الإسلام، فغير رأيه في قاموسه الفلسفي فقال :

«لقد نسبنا إلى الإسلام كثيرا من السخافات، وهو في الحقيقة خلو منها. ولكن كهنتنا كتبوا كتبا كثيرة في ذات الأتراك، واتفق أن كان الأتراك مسلمين، فأصيب على حساب غيره»[3].

ـ ويكشف «آيتان دينيه» عن تعصب قومه في كتابه: محمد نبي الإسلام

(١) حياة محمد المقدمة ص ٨، ١١ هيكل ـ القاهرة.
(٢) محمد في مكة ٩٤ فتحمرى وات ـ العصرية بيروت.
(٣) المؤيد ـ ١٩ مارس ١٩٠٨.

فيقول:

لقد مضى عليهم ثلاثة قرون، وهم يهاجمون هذا الإسلام، بدعوى أنهم يعدونه أساطير، ليقيموا على أنقاضها حقائق، وها هم بعد طول العناء لم يعملوا شيئا، وإذا قارنا النظريات الحديثة التي تفنن فيها المستشرقون في فرنسا وإنجلترا والمانيا وبلجيكا وهولندا، وعارضنا بعضها ببعض (افتضح حينئذ ما انطوت عليه أقوالهم من اختلاط وتلبيس، لأن نظرياتهم مبنية على الباطل، وكذلك تولى بعضهم تحطيم البعض الآخر، فالذي يقوله «دنهارت دوزي» في كتابه «مسلموا الأندلس» ١ ـ ١٨ من أن محمد شذ عن قومه العرب بأن له خيالا، وأن العرب مجردون من الخيال يكذبه «هنري لامنس» في كتابه «مهد الإسلام» ص ٤ ـ ٥ لأنه ينسب فوز الإسلام إلى المطابقة بين محمد وبيئته».(١)

ـ ويرد آيتان دينيه على الأب لامنس المتحامل على الإسلام فيقول: «إن الأب لامنس في علم المشرقيات كبطرس الناسك في الحروب الصليبية جهز ـ بهمة لا تعرف الكلل ـ حملة صليبية لقتال الإسلام، وكذلك لامنس جهز حملة دعائية في العلم طمعا في أن يصرع الإسلام صرعة لا مقام منها، وإن نفرا من النصارى في أوروبا دانوا بالإسلام في الأعوام الأخيرة، ويكثر عددهم على مر الأيام وأن الكنت هنري دي كاستري قال في كتابه: الإسلام ص ٢١١ إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا مرتدون فيه.(٢)

ـ ويرد فلكس فالي المستشرق المجري اتهام الإسلام بالجمود فيقول: إن هذا الزعم لا يتفق مع نفور محمد من الوحدة وكراهيته للنسك.

ـ ويرد فلكس فالي المستشرق المجري اتهام الإسلام بالجمود فيقول: إن دعوى كون الإسلام جامدا لا يتحرك: دعوى لا دليل عليها. والحق أن الأسلام كان في

---

(١) المنار ١٨ م ص ٢٦٢.

(٢) آراء غربية في مسائل شرقية «عمر فاخوري».

كل عصوره مثالا للحركة الفكرية في التاريخ.[1]

ـ وقد أقام الدليل على مرونة الإسلام جولد زيهر في كتابه دروس في الإسلام، أن الإسلام الذي ليس لانتشاره مثل في تاريخ الإنسانية ليس مبنيا على الاعترافات الدينية.

ويستغرب «فليكس» من جهل المستشرقين فيقول: «إن هذه البعثات التي تذهب إلى الشرق كانت تصدر حكمها قبل أن تصل إلى بلاد الإسلام. ولهذا كانت آراؤها خطأ لأنهم لم يعرفوا الإسلام إلا من المسيحية الوافدة من الشام، وكل هم هؤلاء أن يستفيدوا من الآراء الجائرة من الأوربيين أو الأمريكيين ضد المسلمين[2].

ـ وقد أشار إلى حقد المستشرقين وخطئهم الدكتور جواد على فقال: إن المستشرق كيتاني ـ وهو من المستشرقين الكبار الأوائل الذين كتبوا عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ كان يعتمد منهجا معكوسا في البحث يذكرنا بكثير من التلامذة الجدد في حقل التاريخ الإسلامي، والذين يعملون وفق منهج خاطىء من أساسه إذ أنهم يبيتون فكرة مسبقة، ثم يجيئون إلى وقائع التاريخ لكي يستلوا منها مايؤيد فكرتهم، ويستبعدوا مادون ذلك، فلقد كان كيتاني «ذا رأى وفكرة وضع رأيه وكونه في السيرة قبل الشروع في تدوينها فإذا شرع بها استعان بكل خبر من الأخبار ظفر به: ضعيفها وقويها. وتمسك بها كلها، ولاسيا ما يلائم رأيه، ولم يبال بالخبر الضعيف، بل قواه، وسنده، وعده حجة، وبنى حكمه عليه، ومن يدري فلعله كان يعلم بسلاسل الكذب المشهورة والمعروفة عند العلماء، ولكنه تجاهل وغض نظره عن أقوال أولئك العلماء فيها، لأنه صاحب فكرة يريد إثباتها بأي طريقة كانت، وكيف يتمكن من إثباتها وإظهارها وتدوينها إذا ترك تلك الروايات، وعالجها معالجة نقد وجرح وتعديل، على أساليب البحث الحديث؟»[3].

---

(١) التشريع الإسلامي رباني المصدر وكشف عن قصور كل تشريع بشري أنور الجندي ط الاعتصام القاهرة.

(٢) افاق جديدة ص ٦٠، ٦١.

(٣) تاريخ العرب في الإسلام، جواد علي ١/ ٩٥ بغداد ـ مطبعة الزعيم.

المبحث الثاني
الطاعنون في القرآن والرد عليهم

اتجهت جهود المستشرقين المناهضين للإسلام قديما وحديثا إلى زعزعة الاعتقاد في صحة القرآن، وفي مصدره، كل بما أوتى من براعة في الكذب والتلفيق والتخيل، مضاهئين بذلك قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أني يؤفكون، حيث زعم ذلك الوثنيون «وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝ وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا »[1].

وقد صرح بذلك المشركون، وحكى ذلك القرآن الكريم، فقال: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يلحدون إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ»[2].

قال ابن كثير: كان[3] هناك غلام لبعض قريش بمكة أعجمي بياعا، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليه ويكلمه ـ وكان صلى الله عليه وسلم يعطف على الفقراء، ويدعوهم إلى الإسلام ـ وكان أعجمي اللسان، ما يكاد يبين. فقال المشركون: إنما يعلمه هذا الأعجمي» فرد عليهم القرآن الكريم بالحجة.

وقد سار المستشرقون المتحاملون على الإسلام على خطأ الجاهلية الأولى من عبدة الأحجار والأوثان، وبذلوا محاولات مستميته لبيان أن القرآن ليس من عند الله

(١) سورة الفرقان: آية ٤ـ ٦

(٢) النحل ـ ١٠٣،

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٥٨٦ ط المعرفة بيروت.

وقرروا :ـ

أولا : إن القرآن من قول محمد ومن افترائه.

ثانياً : إنه منحول ومنقول من كتب أهل الكتاب ورهبانهم وأحبارهم ، تعلمه محمد على أيديهم. مرددين بذلك ماقاله الوثنيون قديما.

ـ يقول «فويلز» يتخيل محمدا رجلا دفعته طموحاته ووساوسه في سن الكهولة إلى تأسيس دين ليعد في زمرة القديسين ، فألف مجموعة من عقائد جزافية ، وآداب سطحية ، وقام بنشرها في قومه ، فاتبعها رجال منهم[١].

ـ ويقول ، «جولد تزهير» ينسب المعرفة الدينية التي تلقاها محمد صلى الله عليه وسلم إلى عنصرين : خارجي ، ودا خلي فيقول : «فتبشير النبى العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية ، عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية ، التي تأثر بها تأثرا عميقا ، والتي رآها جديرة بأن توقظ ، في بني وطنه عاطفة دينية صادقة ، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في وجدانه ضرورية لإ قرار لون من الحياة في اتجاه يريده الله ـ لقد تأثر بهذه الأفكار تأثرا وصل إلى أعماق نفسه وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية ، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيا إلا هيا[٢].

ـ ويقول «بلاشير» بالرغم من اعتداله في أحكامه متحدثا في كتابه «معضلة محمد عن مصدر القصص القرآني» ، ذاكرا بالخصوص ، أنه مما لفت انتباه المستشرقين هو التشابه الحاصل بين هذا وبين القصص اليهودي المسيحي ، وقد كان التأثير المسيحي واضحا في السور المكية الأولى ، إذ كثيرا ماتكشف مقارنة بالنصوص غير الرسمية ، كانجيل الطفولة الذي كان سائدا في ذلك العهد عن شبه قوى ، ويعرض في هذا الصدد آراء بعض الباحثين مبينا رأيه فيما يستنتج من العلاقات المستمرة التي كانت

---

(١) الإسلام والثقافة العربية في مواجهة الاستعمار ص ٢٣٩م الرسالة مصر.

(٢) «جولد تسهير» العقيدة والشريعة في الإسلام ص ١٢ ط مصر ١٩٤٨.

تربط بين مؤسس الإسلام والفقراء المسيحيين بمكة.

ـ ويرى «ريتشارد بل» مؤلف كتاب مقدمة القرآن[1]: أن النبى صلى الله عليه وسلم قد اعتمد في كتابته للقرآن على الكتاب المقدس، وخاصة على العهد القديم، في قسم القصص، فبعض قصص العقاب: كقصص عاد، وثمود، مستمد من مصادر عربية، ولكن الجانب الأكبر من المادة التي استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمدها من مصادر يهودية ونصرانية، وقد كانت فرصته في المدينة للتعرف على ما في العهد القديم أفضل من وضعه السابق في مكة، حيث كان على اتصال بالجاليات اليهودية في المدينة، وعن طريقها حصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل.

ـ ويقول «رودى بارت»: إن محمدا تعرف على النصرانية من بحيرى الراهب في رحلتة التجارية إلى الشام، وقد تمثل محمد في نفسه ماسمعه من بحيرى الراهب، وما عرفه من أتباع اليهودية، وخرج على الناس يعلن دينه الجديد الذي لفقه من الدينين الكبيرين[2].

ـ ويذهب المستشرق «لوت»: إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم مدين بفكرة فواتح السور من مثل حم، طسم، وألم، الخ، بتأثير أجنبى، ويرجح أنه تأثير يهودي، ظنا منه أن السور التي بدأت بهذه الفواتح مدنية، خضع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم لتأثير اليهود. ولو دقق في الأمر لعلم أن سبعا وعشرين سورة من تلك السور التسع والعشرين مكية، وأن اثنتين فقط من هذه السور مدنية، وهما سورتا البقرة وآل عمران[3].

ثم يتخبط المستشرقون مرة أخرى فيزعمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) الاستشراق لزقزوق ص ٨٤، عن اللبان ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) في كتابه «محمد والقرآن» المانيا الغربية ١٩٥٧ مترجمة الى العربية د. مصطفى ماهر سنة ١٩٦٧ ص ١٣ وما بعدها.

(٣) نظرات استشراقية في الاسلام للدكتور غلاب ص ٤١، ٤٢.

أخذ القرآن من شعر أمية بن أبى الصلت والدليل على ذلك قول القرآن: «اقتربت الساعة وإنشق القمر» ومن شعر امريء القيس واستدلوا على ذلك يقول نسبوه إلى امريء القيس:

دنت الساعة وانشق القمر — عن غزال صاد قلبي ونفر
أحور قد حرت في أوصافه — ناعس الطرف بعينيه حور
بسهام من لحاظ فاتك — تركتنى كهشيم المحتظر

وقد رد عليهم العقاد فقال: «وأيسر ما يبدوا من جهل هؤلاء الخابطين في أمر اللغة العربية قبل الإسلام وعلاقتها بلغة القرآن الكريم: أنهم يحسبون أن العلماء المسلمين يجدون في بحث تلك الأبيات وصبا واصبا، لينكروا نسبتها إلى الجاهلية، ولايلهمهم الذوق الأدبي أن نظرة واحدة كافية لليقين بإدحاض نسبتها إلى إمرىء القيس، أو غيره من شعراء الجاهلية»(١) ثم إننا نقول ماذا في الاعتراف بأن تكون بعض التعبيرات العربية التي استخدمها العرب في الشعر والنثر وردت كلاما في القرآن. والقرآن جاء بلسان عربي مبين، وكان أحيانا ينزل بنص كلمات تحدث بها الصحابة: من أمثال عمر رضى الله عنه وأرضاه، وهناك فرق كبير بين «دنت الساعة» وبين «اقتربت الساعة» ولما لا يكون الشاعر هو الذي اقتبس من القرآن، لأن الشعر ليس لامرىء القيس.

وهكذا فإن أكثر المستشرقين لم يتوصلوا إلى تكوين فكرة صحيحة عن مصدر القرآن، ولا عن الوحي الذي أنزل عليه، فانساق الكتاب الغربيون في اتجاههم يرددون الفكرة نفسها من غير بينة، بل إن المتعصبين منهم عندما يتحدثون عن الرسول والقرآن والإسلام تتحول السنتهم وأقلامهم إلى معاول هدم، وأذكر على سبيل المثال مقالا كتبه «فيلب أيرلنجي» في مجلة تصدر في باريس، نسب فيه إلى الرسول صلى عالله عليه وسلم بقصد النيل من شخصيته الشريفة ما يتبرأ منه كل باحث نزيه، وما لايصدر

---

(١) اسلاميات العقاد ص ٥١، ٥٣.

مثله إلا عمن أغلق فكرة التعصب والحقد. وكان مما ادعاه في مقاله: كثرة اتصال محمد باليهود في مكة مكن له من أخذ الديانة عنهم، والمعروف أن جل اليهود آن ذاك كانوا بالمدينة لا بمكة، ثم قال مفتريا على الرسول مرة أخرى: إنه كان يسأل خادمه زيدا وهو مملوك للمسيحيين عن الديانتين المسيحية واليهودية، ليأخذ منهما وكان حاذقا فطنا، أحد ذكاء وأدق فهما من خادمه، ثم يقول: «لقد كان محمد في المدينة تلميذا لليهود، وهم الذين كونوه، ثم بدأ جبريل يمده ببعض الأساطير التي يعرفها اليهود والمسيحيون».

هذا التناقض الصارخ وهذا الفهم العجيب الذي لا يصدر عن باحث، أو عن ذى لب، يدل على كمال التخبط والحيرة والكذب الصراح، لاسيما إذا كان ذلك من غير سند أو حجة تاريخية، أو حتى منطق عقلي. وهذا في الحقيقة لا يستحق الرد أو الالتفات لسقوطه وتهافته.

ولعل أول مايبعث على التساؤل هو: أن القرآن عربى معجز في بلاغته وفصاحته، وقد تحدى به العرب، بل الإنس والجن، وقد كان معجزا كذلك بدستوره ونظامه الأخلاقي والعلمي. فهل أخذ محمد صلى الله عليه وسلم، الإعجاز كذلك من اليهود، أو من ورقة بن نوفل أو من خادمه.

ثم ماتدعونه من مشابهة في بعض القصص في القرآن للقصص في الكتب السابقة فما المانع أن يكون القرآن وحيا أصيلا مأخوذا من النبع نفسه الذي أغترفت منه الديانات السماوية الصحيحة؟.

ما المانع أن يكون الإسلام هو الحلقة الأخيرة من حلقات الوحي الإلهي، الذي أقام الاتصال بين السماء والأرض، على مدى تاريخ البشرية؟

لماذا تحرمون على الإسلام ماتبيحونه لليهودية والنصرانية؟ هل هو التعصب الأعمى، ولا شيء غيره، أم هي الكراهية لهذا الدين الذي جاء مصححا لما طرأ على الديانات السابقة من أوهام وأباطيل، وكاشفا لوجه الحق فيها؟

هل مبدأ جواز اتصال السماء بالأرض عن طريق الوحي، مبدأ مسلم به أم. لا؟

إنه إذا كان المبدأ مسلما به فلا معنى لأن تحتكره اليهودية المحرفة ولا النصرانية المزيفة، وتمنعه عن الإسلام، وإذا لم يكن مسلما به فلا مجال للديانات جميعها.

«لقد جاء القرآن الكريم بما هو أعلى وأوسع وأكمل من كل المعلومات التي كانت لذى بحيرى الراهب، ولدى كل النصارى واليهود في شتى بقاع العالم، وجاء القرآن مصدقا لما نزل على موسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم، من حيث كون الكتب التي نزلت عليهم هي في الأصل وحي من عند الله، كما جاء القرآن مهيمنا على هذه الكتب وحاكما عليها، فذكر القرآن: أن اليهود والنصارى أوتوا نصيبا من الكتاب، وأنهم نسوا حظا مما ذكروا به، وأنهم حرفوا الكلم عن مواضعه، كما بين القرآن الكريم كثيرا من القضايا الكبرى التي كانت موضع خلاف بينهم في العقائد والأحكام والأخبار»[1].

وهناك العديد من الأمثلة التي خالف فيها القرآن ما ورد من أخبار في كل من العهد القديم والجديد، فهل أخذ محمد صلى الله عليه وسلم ذلك من الرهبان في رحلته التجارية إلى الشام؟.

وهل كان كفار مكة يسكتون عن ذلك لو عرفوا أن محمدا استقى معلوماته من اليهود والنصارى؟ إنهم أشاعوا هذا الاتهام، ولكنهم سكتوا لما ألجمهم القرآن بالحجة والإعجاز. نعم لقد كانوا يلجؤون إلى أوهى المزاعم فلماذا سكتوا عن زعم تلقى محمد عن اليهود والنصارى، ولم يؤيدوه بالدليل؟

لقد زعم الزاعمون أن الذي يعلم محمدا هو عبد رومي كان يصنع السيوف في مكة. فرد عليهم القرآن الكريم زعمهم قائلا: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ

(١) الوحي المحمدي لرشيد رضا ص ١٠٩ ط القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ.

بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ»[1]

وحتى المعلومات التي ذكرت في القرآن وكان لها أصل في كتب اليهود أو النصارى لم يكن محمد ولا قومه يعلمون شيئا عنها.

ويشير القرآن إلى ذلك بعد كثير من القصص فمثلا بعد قصة نوح: «تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾»[2].

وبعد قصة يوسف يقول القرآن «ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ»[3].

كما أن هناك في قصة آل عمران من أخبار القرآن ما لم يكن يعرفه أهل الكتاب، فقد ذكر القرآن الكريم بعد قصد زكريا وولادة مريم عليهما السلام وكفالته لها. قوله تعالى: «ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ»[4].

فممن أخذ محمد صلى الله عليه وسلم كل ذلك. إنه وحي السماء.

صراع لاتعاون

إن من يتصور مساندة اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم فإنما يكون كما قال القائل «متطلب من الماء جذوة نار».

لقد بدأ الصراع اليهودي مع الرسول صلى الله عليه وسلم منذ أن أرسل الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، ففي مكة وقف اليهود إلى جانب المشركين يمدونهم بالأسئلة والألغاز التي ليس لها جواب أحيانا، والمحرجة أحيانا

(١) النحل ـ ,١٠٣

(٢) هود ,٤٩

(٣) يوسف ,١٠٢

(٤) آل عمران ـ ,٤٤

أخرى، وذلك لإحراج الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعميق الفجوة بين الرسول صلى الله عليه وسلم، وبين مشركي مكة.

وفي المدينة المنورة أكلهم الحسد والبغضاء، ونقضوا العهود، وأعتدوا على الحرمات، ودلوا على عورات المسلمين، وحالفوا الكفار، وحاولوا الوقيعة بين المسلمين.

فقد عقد الرسول صلى الله عليه وسلم معهم معاهدة أمن وسلام، ولكنهم نقضوا العهد والميثاق أكثر من مرة، وقام بنو قينقاع بالاعتداء على امرأة مسلمة، وقام بنو النضير بمحاولة اغتيال النبى صلى الله عليه وسلم، وقام بنو قريظة بخذلان النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب حينما انضموا إلى الأحزاب ضد الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم ير الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هذا الغدر والخيانة والاعتداء والتطاول والدس والوقيعة إلا مقاتلة اليهود وإجلاءهم عن المدينة المنورة.

وقد تجمع فلول اليهود في خيبر فاجتمع الحقد والحسد والقطران في قلوب الذين سكنوا تلك الديار. فقاموا بتأليب الأعراب على المسلمين، وتغذية حركة النفاق، كما قامت امرأة يهودية بمحاولة تسميم الرسول صلى الله عليه وسلم، بتقديم شاة مشوية، وفيها سم زعاف، للتخلص من الرسول ودعوته.

لعن القرآن لهم :ـ

لما ظهر الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يكن من نسل داود، ضاقت صدورهم، وتحرك الحقد في نفوسهم وبدأوا الكيد الكبير للنبى صلى الله عليه وسلم، وتكذيب دعوته.

قال تعالى: «وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ» (1)

(1) البقرة ـ ٨٩

«سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ »(١)

القرآن يفضح التحريف اليهودي:-

ودليل ذلك التحريف في التوراة كما ذكر القرآن الكريم «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون» البقرة.

فالتوراة الحالية مليئة بالقسوة والهمجية، تصف الأنبياء بالفسق والفجور والدعارة، وتبيح لليهود الغش والسرقة والغدر والمكر والقتل، وغير ذلك مما احتوته التوراة. وهذا كله يثبت التحريف الطارىء على التوراة الأصلية، وأن معظم مافيها من وضع الحاخامات اليهود.

ويعتبر اليهود التلمود مثل التوراة كتابا منزلا، فهو الوحي غير المكتوب الذي تركه موسى. وقد وصل بهم الأمر إلى أن فضلوه على التوراة. وما يدل على هذا التفضيل قولهم: «إن من درس التوراة فعل فضيلة لايستحق عليها المكافأة، ومن درس المشنا فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، ومن درس الجمارا «فهو أعظم فضيلة»(٢).

وتعاليم التلمود أكثر خروجا وضلالا من التوراة، ومما يدل على ذلك:-

«يقول الرابي مناحم»: «إن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لايمكن حلها في السماء»(٣).

«أن تعاليم الحاخامات لايمكن نقضها ولاتغييرها ولو بأمر الله! وقد وقع يوما الاختلاف بين الباري عز وجل وعلماء اليهود في مسألة، فبعد أن طال الجدال تقرر فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الرابيين، واضطر الله أن يعترف بغلطه، بعد حكم

(١) المائدة - ٤٢.
(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٤٤.
(٣) المرجع السابق ص ٤٧.

الحاخام المذكور».

إلى غير ذلك من الأباطيل، ويعتبر التلمود أخطر وثيقة ضد الإنسانية، حيث يدعو إلى تحطيم كل العقائد والقيم والحضارات، لإقامة مجتمع صهيوني يسيطر على المال بكل وسيلة ممكنة، ومنها الغش والسب والنهب والخداع والكذب وغير ذلك.

فقد جاء فيه «أن الإنسان مهما كان شريرا في الباطن وأصلح نفسه ظاهرا يخلص» ويعتبر التلمود غير اليهود كلابا، لأنه مذكور في سفر الخروج، أن الأعياد المقدسة لم تجعل للأجانب ولا للكلاب»[1].

«أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء، ويلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة، لأن أقوالهم هي قول الله الحي فإذا قال لك الحاخام: إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس، فصدق قوله، ولاتجادل»[2].

مراجعات:ـ

فبالله أي هذه الأباطيل قد أخذها الرسول صلى الله عليه وسلم منهم، وقد لعنهم القرآن بعد ما أبان باطلهم، وأظهر كيدهم وغدرهم وحقدهم، وبعد مانفى القرآن كل هذه التفاهات، وجاء بتعاليم المساواة، والفضيلة والرحمة للعالمين، وبعد مارد الأمر إلى الله سبحانه فلا تشريع لأحد إلا لله سبحانه، ولا مصدر للشرع إلا القرآن، وكلام المعصوم صلى الله عليه وسلم، وما استنبط منهما من قواعد وأحكام.

إن القرآن قد جاء ثورة على كل هذه الأباطيل والخرافات والأهواء، وغير في هذه المفاهيم المتعفنة الحاقدة التي استباحت كل شيء، وجعل لكل شيء قانونا طاهرا عظيما منزلا من الله سبحانه وتعالى، يختلف كل الاختلاف عن هذه الأوهام. جاء الإسلام بمنهج حياة للجميع، تنعم في ظله البشرية وتسعد في جواره الإنسانية، لأنه هو الفطرة والهداية والصراط المستقيم.

---

(١) المرجع السابق ص ٦٧.

(٢) المرجع السابق ص ٤٦ عن كتاب يهودي اسمه (كرافت) مطبوع سنة ١٥٩٠م.

لقد كان العداء السافر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللتعاليم الربانية من قبل اليهود سببا في تحالف اليهود ـ وهم أهل كتاب ـ مع المشركين الوثنيين، وكان سببا في حروب ووقائع بين الجانب المسلم والجانب اليهودي. وكان سببا للتربص اللئيم والتدبير الشيطاني للإيقاع برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومحاولة قتله، ووأد دعوته.

فكيف يكون هذا مساعدة للرسول صلى الله عليه وسلم؟ وكيف يكون هذا اتفاقا مع الرسول، وتعاونا معه، وتلقينا للتعاليم ومناصرة له؟ إن هذا لعجيب في التاريخ، وفي الواقع، وفي العقل!.

ومع هذه المفارقات التي لايصدقها عقل ولا تاريخ ولا واقع يحاول المستشرقون أن يقنعوا بها، وأن يردّدوها، حتى تكون حقيقة مسلمة. فأي ضلال هذا وأي بهتان!!.

ـ يقول إدوارد جيبون: «إن القرآن الكريم أكبر دليل على وحدانية الله، بعد أن نهى عن عبادة الأوثان والكواكب، وهذا الدين أكبر وأجل من أن تدرك أسراره العويصة عقولنا الحالية»[1].

ـ أما المستشرق الألماني «والفجانج لانجرميش» فيقول: «إن القرآن الكريم أكبر الكتب التي تقرأ في العالم، وهو أيسرها حفظا، وأشدها أثرا في الحياة اليومية لمن يؤمن به. فليس طويلاً كالعهد القديم، وهو مكتوب بإسلوب رفيع أقرب إلى الشعر منه إلى النثر. ومن مزاياه: أن القلوب تخشع عند سماعه، وتزداد إيمانا وسموا، وأوزانه ومقاطعه كثيراً ما قورنت بدقات الطبول، وأصداء الطبيعة.. ولايعترف القرآن بأن عيسى هو ابن الله، أو أنه قتل مصلوبا.. ويتسم القرآن بطابع علمى وعملي فيما يتعلق بالمعاملات بين الناس، وهو في ذلك يقول:

(١) انظر كتاب الديانات والحضارات لطه مدور ط ٦، ١٩ ـ بيروت.

«إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فأكتبوه» وهذا التوفيق بين عبادة الإ له الواحد، وبين التعاليم العملية جعل القرآن كتابا فريدا ووحدة متماسكة[1].

ـ ويقول غستاف لوبون: «إن القرآن كتاب سماوي ولم تكن فيه القوانين الدينية فقط، بل فيه القوانين السياسية والاجتماعية، وهو أكبر كتاب حوى مالم يحوه غيره من الكتب.

ـ ويقول السير وليم هيور: «إن القرآن ممتليء بالأدلة عن الكائنات المحسوسة، والدلائل المعقولة على وجود الله تعالى، وأنه الملك القدوس، وأنه سيجزى المرء على عمله. إن خيرا فخير، وأن شرافشر، وإن اتباع الفضائل وأجتناب الرذائل فرض على العالمين، وأن الواجب على كل مكلف أن يعبد الله، وهي علة سعادته».

ـ ويقول سنابس: «إن القرآن هو القانون العام الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو صالح لكل زمان، فلو تمسك به المسلمون حقا وعملوا بموجب تعاليمه وأحكامه لأصبحوا سادة الأمم كما كانوا من قبل».

ـ ويقول جيبون: «إن القرآن المجيد، هو الدستور العام للعالم كافة، وهو نظام الكون في المعاد والمعاش، وبه النجاة الأبدية وحفظ الصحة البدنية، والمصالح العامة والشخصية، وما يترتب من الفضائل الأدبية والإجراءات الجزائية الدنيوية»[2].

(١) مجلة المختار مجلد ١٩٥٦ ص ٥٧ مقال (اخترت الدفاع عن الإسلام).
(٢) انظر في ذلك مجلة الرسالة الإسلامية: العدد الثاني جمادي الأولى ١٣٩٧هـ.

المبحث الثالث
الطاعنون في الرسول صلى الله عليه وسلم والرد عليهم

موقف العقل العالمي غير المسلم من الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته يماثل موقفهم من الإسلام والمسلمين، ويمثل هذا الموقف المستشرقون على اختلاف جنسياتهم ونزعاتهم، ويتشكل هذا الموقف من منطلق دينى صرف، مفعم بالتعصب والتشنج، والانفعال وعدم الموضوعية والمنهجية السليمة، وهذا الموقف الكاره الحاقد المتحامل المتعمد للكذب، جعل بينهم وبين معرفة الحقيقة التاريخية والعلمية سدودا يصعب اختراقها، وحجبا يندر تبديدها، فتركوا أنفسهم لرواسب الماضي السحيق، وأحقاد الشعوبيات والقوميات المريضة، لتهب أعاصير مسمومة على العقول الخالية الخاوية من العلم والمعرفة بالإسلام، وزاد ذلك تفاقما وتعمقا عجز المسلمين عن تبليغ رسالتهم، وإيضاح دعوتهم، وإعلان عقيدتهم، وزاد في هذا لهو المسلمين وذهولهم، وانخداعهم، وتتلمذ بعضهم على أيدى هؤلاء الطاعنين الحاقدين، وتبنوا دعاواهم وأفكارهم. وهذه هي القاصمة لهؤلاء المخبولين الحاقدين.

وسنعرض هنا لبعض الأقوال المتهافته التي اخترعها المستشرقون والحاقدون على نبى الإسلام، ويظهر من ثناياها لكل ذى عينين مدى الضلال والسفه التي تتسم به.

أ ـ يقول المونيسنيوكولى، في كتابه «البحث عن الدين الحق»: «برز في الشرق عدو جديد هو الإسلام الذي أسس على القوة، وقام على أشد أنواع التعصب، لقد وضع محمد السيف في أيدى الذين اتبعوه، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب، ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات في الجنة، وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وأفريقيا، وأسبانيا فريسة له حتى

إيطاليا هددها بالخطر، وتناول الاجتياح نصف فرنسا»[1].

ـ ويقول جوليان في كتابه «تاريخ فرنسا»: إن محمدا مؤسس دين المسلمين، قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم، وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين والنصارى! !. إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة، وقالوا للناس: أسلموا أو موتوا. بينما أتباع المسيح أراحوا النفوس ببرهم وإحسانهم، ماذا كان سيكون حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا؟ إذن لكنا مسلمين كالجزائرين والمراكشيين[2].

سعار الحقد:

وهذا الكلام المتهافت، والتجريح المتعمد، مع سبق الإصرار، يدعونا إلى كشف زيف هؤلاء الجناة، الذين يحاولون إلصاق التهم بغيرهم ليلفتوا الناس عنهم، إن هؤلاء المستشرقين مابرحت أيديهم ملوثة من دماء الأبرياء الأنقياء المستضعفين، هؤلاء الجبابرة يعيدون بذلك عهود الظلم الرومانية والفارسية، التي كانت تستبيح كل شيء في سبيل ملذاتها الهوجاء، وهم هم اليوم صناع الدمار وبائعو الأشلاء ومصاصو الدماء، وما هذا الاتهام الذي يوجه إلى نبي الإسلام اليوم، إلا محاولة لنفي العفن والتحلل والفساد والتفسخ الذي كان عليه آباؤهم في الزمن الغابر، فجاء الإسلام وأزاح ذلك بتعاليمه السمحة، وأزال الطغاة الجبابرة المتسلطين، الذين كانوا يهلكون الحرث والنسل، وما هذا الاتهام اليوم والتأليب على الإسلام ورسوله إلا خوفا من أن ينتفض عملاق الحق فينقذ البشرية من سوءة المتوحشين، الذين يدعون الحضارة وهي منهم براء.

إن العرب لم يجتازوا جزيرتهم لاستلاب الخزائن العامرة، بل لهداية القلوب الخراب، وتخليص الناس من الوحوش الكاسرة.

(١) انظر في ذلك، الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ص ٦٠ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ومناهج المستشرقين ـ ١/ ١٤١، ١٥٦ المنظمة العربية للتربية.

إن الدنيا لم تعرف قوانين الأخلاق والمروأة والتسامح إلا على أيدى هؤلاء الفتية المؤمنين، المجاهدين في سبيل الله، ولم تعرف البشرية حرية دينية واجتماعية كما عرفتها في ظل الإسلام الذي نادى في الدنيا بقوله: «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى»، ولم تعرف الدنيا صاحب خلق وفضل كرسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي شهدت له الدنيا بذلك وزكته السماء، فقال تعالى: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»[1]

ولقد نفى هذا الزعم الذي يزعمه الجاهلون كثير من المستشرقين الذين مازالت في نفوسهم بقية من حياء.

ـ يقول المستشرق الألماني ـ رودى بارت ـ في كتابه «محمد والقرآن».

لقد كان محمد في حقيقة أمره إنسانا متدينا، وفي تدينه يكمل مفتاح شخصيته... ثم يقول: لم يكن محمد برسالته واضعا أمام عينيه أهدافا أنانية، قبلية كانت أو عائلية... وقد جعل محمد من نفسه متحدثاً باسم معرفة إلهية موحدة ضافية، ودعا إلى أخلاق دينية حقيقية، وكان لابد له بالضرورة أن يتجاوز إطار المعرفة الكهنونية المعتادة، وهكذا كان أبعد الناس من أن يكون كواحد من أرباب الفراسة، أو العرافين، أو السحرة، ولكي نعبر عن هذه الحقيقة في شكل تناقض نقول: لقد كان محمد قبل أن يعرف شيئا على الإطلاق عن النبوة قد بدأ من وجهة نظر موضوعية في أن يكون نبيا»[2].

ـ يقول توماس كارليل في كتابه «عبادة الأبطال» باللغة الإنجليزية، وترجم إلى عدد كبير من اللغات، وترجم محمد السباعي الجزء الخاص بالرسول في مجلة البيان: إني لأحب محمدا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع ـ غير طامح إلى مايطمح إليه أصاغر الرجال من مرتبة أو سلطان أو شهوة، أخرج الناس من الظلمات إلى النور.

ـ أما الفرق بين المسلمين وغيرهم الذي يصفهم المستشرق الماجن بالوثنيين

---

(١) القلم ـ ٤.

(١) محمد والقرآن ـ ص ٥١. ترجمة مصطفى ماهر ـ القاهرة ١٩٦٧م.

والهمج فقد قال عنهم غستاف لوبون، يقارن بينهم وبين أضرابهم من الأوربيين في زمن واحد، يقول غستاف لوبون :ـ

بلغت بغداد ذروة الرخاء في عصر هارون الرشيد (٧٨٦م ـ ٨٠٩م) وابنه المأمون (٨١٣م ـ ٨٣٣م) وصارت أهم مدن الشرق، وذاع صيت الرشيد، فطبق الآفاق، فأرسلت بلاد التتر والهند والصين رسلا إلى بلاطه، وأرسل صاحب الحول والشوكه الأمبراطور شارلمان ـ الذي كان يملك مابين المحيط الأطلنطى ونهر الألب، وهو الذي لم يملك غير ناس من الهمج ـ وفدا ليبلغ الرشيد أطيب تحياته، ويلتمس منه الحماية لحجيج القدس، فأجابة الرشيد إلى سؤاله، ورد إليه وفده مع ثمين الهدايا، ومن بينها فيل مجهز بأفخر جهاز ـ والفيل كانت تجهله أوربه ـ ولآلىء، وجواهر، وحليّ، وعاج، وعطوره ونسائج حريرية وساعة دقاقة. فقضى إمبراطور الغرب شارلمان العجب من تلك الساعة هو وحاشيته المتبربرون، الذين لم يكن بينهم من قدرة على إدراك كنهها، والذين حاول شارلمان عبثا أن يحملهم على إحياء حضارة الرومان[1].

أما الوحشية التي يدعيها المستشرق للمسلمين فهي ليست إلا سمة من سمات قومه في القديم والحديث.

ـ في أثناء الحرب العالمية الثانية في حرب الصحراء الكبرى، انهزم الألمان، ومن عادة المنهزم أن يزرع الألغام بالأرض قبل انسحابه، حتى يعطل الجيش الغازي، وليحدث أكبر الخسائر في صفوف العدو، وكان من المعتاد بالنسبة للحلفاء المنتصرين، أن يطلقوا على الأقل قطيعا من الحمر أو الجمال المستنفرة على حقول الألغام فداء للبشر، فتموت الحمير والجمال، وتقل الخسائر إلى أقل حد ممكن، أما في تلك المعركة فقد أطلقت القوات الإنجليزية الفيلق الهندي في جيشها، ليفجر حقول الألغام أمام الجنود البيض، بدلا من الحمير والجمال، وانتصر الحلفاء، وصدر البلاغ الحربي ـ انتصرنا على قوات العدو، واستولينا على طبرق، خسائرنا قليلة، فني الفيلق الهندي عن آخره[2].

(١) حضارة العرب غستاف لوبون ص ٢١٥ ط عيسى الحلبي.
(٢) واقعنا المعاصر ـ ٥٩ الأستاذ محمد قطب ـ القاهرة ـ ١٩٨٧ ـ بتصرف.

هؤلاء هم قومك المتحضرون الهمج أيها المستشرق فاقد الضمير.

طوفان الحقد على صاحب الرسالة: ـ

لم تجتمع سيول من الحقد أو أعاصير من الهدم مثل ما اجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل هؤلاء الضالين المفترين، وماثبت أحد أمام هذه الجبال من الأكاذيب مثل ماثبت تاريخ الرسول وسيرته ورسالته، لقد بددت أضواء التعاليم وأنوار الهداية كل جحافل الظلام والبهتان ووصلت إلى القلوب والأرواح والعقول فأنارتها وطهرتها وهدتها إلى الصراط المستقيم. وسنعرض لجانب من هذا الطوفان المهزوم، حتى نرى آثار الحقد والزور والبهتان في قلوب الضالين، والمغضوب عليهم، من الأشقياء الجائرين.

العمل بالعفوية والعاطفة: ـ

لم يتورع المفترون أن يصفوا الرسول صلى الله عليه وسلم بنقيض ماكان يعمل صلى الله عليه وسلم، فيطلقون عليه أنه خيالى النزعة، عاطفي، يعمل حسب الظروف، تتحكم فيه أسباب نفسية وقبلية.

ـ يقول «نولدكة»: كان النبي لايتحرج في اختيار الوسائل التي تضمن له النجاح والظفر، في الوقت الذي كان خياليا، ولم يكن له سلطان على خياله وعواطفه».

نقول نعم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يختار الوسائل الصحيحة التي تؤدى إلى أن تفوز دعوة الإيمان، وتصل إلى قلوب الناس. ولكن من غير إثم، ولا طريقة فجة، أو قبيحة.

روى البخاري، ومسلم، وأبو داود، والموطأ، عن عائشة رضى الله عنها قالت: «ماخير رسول الله بين أمرين قط، إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثما، فإن كان أثما كان أبعد الناس عنه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم»[1].

(١) البخاري د/ ٤١٩ في الأنبياء، مسلم رقم ٢٣٢٧ في الفضائل، الموطأ/ ٩٠٣ حسن الخلق أبو داود رقم ٤٧٨٥ في الأدب.

أما أنه كان عاطفيا رحيما، فنعم وقد وصفه الله بذلك: «لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾»[1]

روى الإمام مسلم، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده، ولا امرأة ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله»[2].

وروى أبو داود، والترمذى عن أنس رضى الله عنه، ما رأيت رجلا التقم أذن النبى صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه، وما رأيت رجلا أخذ بيده فترك يده، حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده»[3].

روى البخاري عن أنس قال: كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتنطلق به حيث شاءت»[4].

أما أنه صلى الله عليه وسلم خيالي النزعة، فهذا شيء لا أرى له توجيها إلا إذا كان يقصد أنه صلى الله عليه وسلم كان ينظر بنور الله سبحانه، وكان يطلعه الله على الغيب مصدقا لقوله تعالى: «عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ»[5]

أما قول المستشرق: إنه ليس له سلطان على عواطفه، فهذا محض اختلاق، ليس عليه دليل، فقدكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوى الناس نفسا، وأبعدهم عن الشهوة الحرام، يطوع نفسه صلى الله عليه وسلم حسب تعاليم ربه ومرضاته، وكان صلى الله عليه وسلم أملك الناس لنفسه، وأكثرهم قناعة، وكبحا لشهوته.

روى الترمذي عن أبى أمامة الباهلي رضى الله عنه: أن النبى صلى الله عليه

---

(١) التوبة ـ ١٢٨

(٢) مسلم رقم ٢٣٢٨.

(٣) ابوداود رقم ٤٧٩٤، الترمذي ٢٤٩٢ حسن.

(٤) البخاري ١٠/ ٤٠٨ في الأدب.

(٥) الجن ـ ٢٦.

وسلم قال: «عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا، فقلت: لا يارب، ولكن أشبع يوما، وأجوع يوما، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك»[1].

وروى البخاري ومسلم، والترمذى، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»[2].

وروى البخاري، ومسلم، والترمذي، عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال، فلينظر إلى من هو أسفل منه»[3].

أرأيت كيف كان صلى الله عليه وسلم أملك بشر لنفسه على ظهر الأرض، وأملك لشهوة الدنيا وزهرتها، هذا هو المنهج العلمي الذي لا يعوزه الدليل.

أما قول المستشرقين: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرك حسب الظروف الراهنة ووفق مستلزماتها. فهذا لايعيب الرسول صلى الله عليه وسلم، مادام في طريق سليم، وهدف سام، نحو غاية كريمة، ليكون الدين كله لله، بل هذا مما يدل على رجاحة عقل، وحنكة، وفهم، وبصر بالأمور، واتباع للأسباب، التي أمرنا الله سبحانه بإتباعها وفتح للبصر والبصيرة، التي هي من مستلزمات النصر والعبرة.

أما إذا قصد بهذا التنازل عن المباديء والغايات والتعاليم في سبيل مكاسب مادية أو رياسية، فالرسول صلى الله عليه وسلم أبعد الناس عن ذلك، ولو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في يساره.

وقد أمر بأن يصدع بالحق «فأصدع بما تؤمرو أعرض عن المشركين.

(١) أخرجه الترمذي في الزهد برقم ٢٣٤٨، وقال الترمذي: حديث حسن.
(٢) البخاري ١١/ ٢٣١، ٢٣٢ في الرقائق، ومسلم ١٠٥١ في الزكاة، والترمذي رقم ٢٣٧٤.
(٣) البخاري ١١/ ٢٧٦، ومسلم رقم ٢٩٦٣، والترمذي رقم ٢٥١٥.

«وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ»[1]

هذا هو رسول البشرية، وقدوة الإنسانية، وهادى الناس إلى طريق مستقيم.

إسقاط الفضائل وتحكيم الوضعية العلمانية:ـ

يحاول بعض المستشرقين أن يسلبوا فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقطعوا صلته وتلقياته الإلهية، وتوجيهه الرباني، واستعانته بتوفيق الله سبحانه وتعالى في أعماله وسيرته صلى الله عليه وسلم. وأن يسقطوا الوضعية العلمانية على الوقائع التاريخية للسيرة النبوية، محاولين بذلك اتباع مناهج مغلوطة، تثبت مافي نفوسهم من مرض، فزادهم الله مرضا.

ـ ولقد أصاب الدكتور سنوك هير غرنجة، بقوله: «إن سيرة محمد الحديثة تدل على أن البحوث التاريخية مقضي عليها بالعقم إذا سخرت لأية نظرية أو رأي سابق.

هذه حقيقة يجمل بمستشرقى العصر جميعا أن يضعوها نصب أعينهم، فإنها تشفي من داء الأحكام السابقة التي تكلفهم من الجهود مايجاوز حد الطاقة، فيصلون إلى نتائج لاشك خاطئة. فقد يحتاجون في تأييد رأي من الآراء إلى هدم بعض الأخبار الصحيحة، وهذا ليس بالأمر الهين، ثم إلى بناء أخبار تقوم مقام ماهدموا، وهذا أمر لاريب مستحيل.

إن العالم في القرن العشرين يحتاج إلى معرفة كثير من العوامل الجوهرية: كالزمن، والبيئة، والاقليم، والعادات، والحاجات، والمطامح، والميول... الخ لاسيما إدراك تلك القوى الباطنة، التي لاتقع تحت مقاييس المعقول، والتي يعمل بتأثيرها الأفراد والجماعات.

ثم يقول (أتيين دينيه): «ما رأي الأوربيين في عالم من أقصى الصين يتناول المتناقضات التي تكثر عند مؤرخي الفرنسيين ويمحصها بمنطقها الشرقي البعيد، ثم

---

(١) الكهف ـ ,٢٩

يهدم قصة «الكردينال ريشيليو» كما نعرفها، ليعيد لنا ريشيليو آخر، له عقلية كاهن من كهان بكين، له سماته وطباعه؟.

إن مستشرقي العصر الحاضر قد انتهوا إلى مثل هذه النتيجة فيما يتعلق برسمهم الحديث في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى ليخيل إلينا أننا نسمع محمدا يتحدث في مؤلفاتهم، إما باللهجة الألمانية، أو البريطانية، أو الفرنسية، ولا نتمثله قط ـ بهذه العقلية والطباع التي الصقت به ـ يحدثنا عربا باللغة العربية.. أن صورة النبى الجليل صلى الله عليه وسلم التي خلقها المنقول الإسلامي تبدو أجل وأسمى إذا قيست بهذه الصور المصطنعة الضئيلة التي صيغت في ظلال المكاتب بجهد جهيد»[1].

إن دينيه يوضح صورا كثيرة من الشرود الذي وقع فيه المستشرقون، ومن الجنايات التي يرتكبها من يدعون البحث عن الحقائق، من توهين أخبار لاتخدم أغراضهم، واختراع وتلفيق أخبار أخرى لتوافق أهواءهم ومصالحهم، ثم يبين حقيقة يجب لفت الأنظار إليها: وهي أنهم يريدون الرسول ـ عادته وسيرته ورسالته ـ تبعا لهواهم وباطلهم الذي درجوا عليه، سواء كان الباطل بريطانيا أم نصرانيا، أو فرنسيا أم ألمانيا. وكأن الحق هو مايقولون، والباطل هو مالا يحبون ولايشتهون، «وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ»[2]

التشكيك في القدرة على النصر:ـ

إيضاحا لما قدمنا من محاولة سلب الفضائل والطاقات الحيوية الإيمانية عن الرسول والإسلام نرى مايقوله بعض المستشرقين من الخرافات في هذه الجوانب مثل:ـ

١ ـ إن النصر الذي صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له فضل فيه، وإنما جاء بسبب تفرق القبائل، وعدم اجتماعها على حربه ولو اجتمعت لكان النصر من

(١) دينيه: محمد رسول الله المقدمة ص ٤٣ ـ ٤٤ وانظر مقدمة عبد الحليم محمود الكتاب ص ٢٧ ـ ٢٨.
(٢) المؤمنون ـ ٧١

حليف المشركين.

٢ ـ سبب خضوع الأنصار في المدينة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هو أنهم يشتاقون إلى كاهن يجمع كلمتهم، ولم يكن دخولهم عن اقتناع بالإسلام.

٣ ـ سبب الهجرة إلى المدينة وإلى الحبشة كان لخلافات ظهرت بين المسلمين فباعد الرسول بينهم بالهجرة.

٤ـ كان دين الرسول صلى الله عليه وسلم محليا، ثم أغراه الفتح والتوسع بجعله عالميا، إلى غير ذلك من الأقوال المغلوطة المختلقة على السيرة والتاريخ الإسلامي.

فأما عن انتصار الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قال نولدكه:

«لو أن القبائل العربية استطاعت أن تعقد بينها محالفات حربية دقيقة ضد محمد للدفاع عن طقوسهم وشعائرهم الدينية، والذود عن استقلالهم. لأصبح جهاد محمد ضدهم غير مجد، إلا أن العجز العربي عن أن يجمع شتات القبائل المتفرقة قد سمح لمحمد أن يخضعهم لدينه القبيلة تلو الأخرى، وأن ينتصر عليهم بكل وسيلة، فتارة بالقهر والقوة وتارة بالمحالفات الودية، والوسائل السلمية»[1].

وبتدبر هذا النص نجد أنه يشير إلى أمور يجب الوقوف عندها منها:ـ

أولا ـ التحسر على ضياع الوثنية وذهاب طقوسها وشعائرها، والغضب من هؤلاء الذين لم يستطيعوا أن يقفوا في وجه الإيمان والرسول صاحب الرسالة، وهذا الحزن الظاهر والبادى في النص يوحى بأن هناك تعاطفاً ظاهراً بين المستشرقين وبين الوثنية وضلالها، بل بين مايخالف الإيمان ويضاد الهداية، وكأنهم شياطين.

ثانياً ـ إرجاع سبب نصر المؤمنين إلى تفرق العرب وعدم اتحادهم في مواجهة الرسول وصحابته، بدون النظر إلى عقيدة وإيمان وتبدل الحال لدى لهؤلاء المؤمنين

(١) تاريخ العالم للمؤرخين ٨/ ١١ وفتحي عثمان: أضواء على التاريخ الإسلامي ص ١٧٠.

المدافعين عن عقيدة يريدون رفع كلمة الإيمان والموت في سبيلها، ثم كيف يتناسى هذا المستشرق الهمام اتفاق المشركين على حرب الرسول صلى الله عليه وسلم، بل واتفاق اليهود معهم كذلك. حتى توحدت قوى الشرك على رسول الله وصحبه الأبرار.

ألم يسمع عن غزوة الأحزاب وتجمع المشركين في الجزيرة مع قريش؟ وكذلك اليهود ضد رسول الله والصحب المؤمن؟ ثم على المسلمين من بعده في حروب الردة؟.

أظنه سمع ولكنه لاينطق بذلك هو وأحزابه، ويكتمون الحق وهم يعلمون».

ثالثاً ـ يريد أن يتناسى هؤلاء، وأن يصرفوا الناس عن الدين الجديد، والحيوية التي فيه، وقدرته على بعث الطاقات الكامنة، وعن العقيدة الدافعة التي يتمتع صاحبها بتأييد الله وتوفيقه. بإظهار أن هذه أمور طبيعية تخضع لأسباب عادية فقط، لا دخل لها بإيمان ولا باستعداد روحي أو نفس أو إيماني، وهذا مايكذبه الواقع الذي هز التاريخ وشهد به القاصي والداني، وشهد به هذا المستشرق نفسه بعمله هذا وبادعائه الذي بين أيدينا ولفته الناس فيه عن الإسلام والتهوين من شأنه خوفا منه وصرفا للناس عن حيويته وطاقاته الخلاقة المبدعة.

كما أنه يريد أن يظهر أن الإسلام قد انتشر بالسيف، لا بالإقناع والحجة والبيان، وهذا شيء يجافي الواقع التاريخي، ويخالف الحقيقة، عن الإسلام في شتى بقاع المعمورة.

يقول الأستاذ «مونتيه» كلية جنيف لحاضر العالم الإسلامي ومستقبله في محاضرته:

«إن الإسلام ينتشر في أفريقيا بنفسه، بواسطة المسلمين أنفسهم، لأن كل مسلم في البلاد الوثنية داعية دين بحذذاته.

ثم يقول: «إن الإسلام ينتشر بنفسه بواسطة القوافل التي ترحل في

البلادالوثنية أو الفيشية، ودعاة الإسلام لما عرفوا به يعمدون إلى ذرائع مختلفة تناسب كل حال، بحسب الأقطار والشعوب التي يبثون دعوتهم بين أهلها[1].

ـ وقد تحدث رينية ميليه. عن انتشار الإسلام في محاضرة في باريس سنة ١٩٠٨م فقال: «إني لا أريد أن أذكر انتشار الإسلام، لأنه الدين الوحيد الذي ينتشر، ويزداد أهله بسرعة في أسيا وأفريقيا، في حين أن الأديان الأخرى بقيت واقفة عند حد محدود لاتتجاوزه البتة وقد أصبحت المسألة لانزاع فيها»[2].

كثيرا ما انتصر الإسلام وهو أعزل، لأن عنصر القوة كامن في طبيعته، كامن في بساطته، ووضوحه، وشموله، وملاءمته للفطرة البشرية. يلبي حاجاتها الحقيقية ويستعلي على العبودية للظلم والقهر والجبروت، يرد الإنسان إلى إنسانيته، ويحلو في فمه وواقعه.

ومن أجل هذه السلطة يطلقون عليه حملات الافتراء والتشويش والخداع والقمع والإرهاب والإبادة ليستريح الاستعمار العالمي والصهيونية والصليبية الحاقدة من هذا المناضل العنيد.

دخول الإسلام المدينة: أما عن سبب دخول الإسلام المدينة فيقول المستشرق كايتاني: إن سكان المدينة رضوا بمحمد ككاهن أعلى فقط، لأنهم كانوا بحاجة إلى الاستقرار الداخلي في المدينة، وليس لأنهم يقبلون تعاليم القرآن بأكملها.

ولا يدري الإنسان أي إنسان قرأ سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أين استقى هذا المستشرق البحاثة هذه المعلومات عن أهل المدينة.

إن أهل المدينة عرفوا رسول الله من أول يوم التقوا به، وقال بعضهم لبعض: اعلموا والله إنه للنبى الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه[3].

---

(١) مجلة المقتبس م ٦ ص ٣٧١.
(٢) محمد في مكة ص ٩٢ ـ ٩٣.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢.

بيعة العقبة الأولى:

ثم كانت بيعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة الأولى واضحة على تعاليم الإسلام.

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ـ قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى:

«ألا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، قال: فإن وفيتم فلكم الجنة، وأن غشيتم من ذلك شيئا، فأخذتم بحده في الدنيا، فهو كفارة له، وأن سترتم عليه يوم القيامة، فأمركم إلى الله ان شاء عذبكم وان شاء غفر»[1].

وقد أرسل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير، ليعلمهم الإسلام، فأسلم الكثير منهم.

بيعة العقبة الثانية:ـ

ثم جاء من أسلم من الأنصار ليبايعوا الرسول في بيعة العقبة الثانية، فتكلم الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم، وتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم، وأبناءكم، وأن تقولوا الحق، ولا تخشوا في الله لومة لائم، وأن تنفقوا في اليسر والعسر، واسألكم لربي أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئا، قالوا: فما لنا على ذلك؟ قال: الجنة.

وفي رواية جابر بن عبدالله رضى الله عنه، قال: قلنا يارسول الله، علام نبايعك؟ فقال: «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن تقولوا في الله، لاتخافوا لومة لائم. وعلى أن تنصروني فتمنعونى إذا قدمت عليكم، مما تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وأزواجكم، ولكم الجنة[1].

ثم كانت الهجرة، وكان الإيثار الذي أشاد به القرآن في قوله تعالى: «وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ»[2] وكانوا هم عصبة الإيمان، وحملة مشاعل النور في مشارق الارض ومغاربها.

فكيف يقول ضال حاقد: إن أهل المدينة كانوا لايريدون الإسلام، وإنما يحتاجون إلى كاهن يحفظ النظام. لقد كانت القبائل العربية تأنف أن تولى غيرها رياسة عليها، حتى لاتعير بذلك، ولم يثبت التاريخ غير ذلك في واقعة واحدة. ولكنها الرسالة والنبوة والهداية التي خضع لها الجميع، وكونت دولة الإيمان على الأخوة والتقوى والإيمان.

افتراءات على الهجره:ـ

يقع المستشرقون فيما لابد أن يقعوا فيه من التهافت والجهل والافتراضات القائمة على غير دليل. فيرجعون الهجرة إلى المدينة والحبشة إلى أسباب بعضها صحيح لايركزون عليه، وبعضها ضال يفيضون في بيانه وإيضاحه. ورغم أن المستشرق منتجمرى كانت له بعض المواقف المعقولة، إلا أنه يقع فيما وقع فيه غيره، فنراه يقول في تحليل أسباب الهجرة إلى الحبشة، وبقاء المسلمين هناك ردحا طويلا، ويضطرب بين خمسة أسباب:

أولهـا: الهروب من الاضطهاد.

وثانيها: البعد عن خطر الارتداد.

وثالثها: ممارسة النشاط التجاري.

(٢) فتح الباري جـ ٨ ص ٢٢١.

(١) الحشر ـ ٩

ورابعها: السعى للحصول على مساعدة حربية من الأحباش.

وخامسها: وهو الأدهى والأمر أنه نشأ خلاف بين الأمة الإسلامية الناشئة، فأبعد الرسول صلى الله عليه وسلم فريقا إلى الحبشة حتى يتخلصوا من النزاع.

ويقول «وات» في ذلك يبدو أن إقامة خالد بن سعيد الطويلة في الحبشة تشير إلى أنه كان على خلاف مع محمد في سياسته، وأنه لم يوافقه على التوجيه السياسي المتزايد للإسلام، ولا على أهمية الدور السياسى لمحمد، بسبب نبوته، ولو أن خالداً اهتم بالنواحي السياسية للرسالة لدفن خلافه مع محمد، وعاد إلى مكة قبل السنة السابعة للهجرة»[1].

ويدعى «وات» حدوث خلاف بين الرسول ومؤيديه ـ ومنهم: أبو بكر ـ، وبين خالد ابن سعيد ومهاجرى الحبشة من جهة، فأوعز الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مخالفيه هو وأبو بكر الذي كانت له مكانة قوية عند الرسول بالهجرة إلى الحبشة تفاديا للأخطار التي قد تنجم عن هذا الخلاف.

خطأ هذا التفسير:

وتفسير الهجرة على هذا الشكل الأهوج شيء يثير الأعصاب الباردة، لأنه يبتعد عن المنهج العلمي، وعن التصور العقلي، وعن الواقع العملي: وقد يكون العنصران الأول والثاني لهما من السند والعقل مايبررهما.

ولكن تصوير المؤمنين المهاجرين بدينهم تجارا نازحين للاكتساب والإثراء شيء يدعو إلى الدهشة، هؤلاء الذين تركوا ديارهم وأرضهم وأموالهم، وخرجوا فرارا بدينهم لايبغون إلا وجهه سبحانه. تحول هذه الغاية إلى رحلة تجارية، وكأنها امتداد لرحلة الشتاء والصيف القرشية المكية، وتصور على أنها مسيرة ارتزاق، وغنى، وهروب، من جوع الصحاري والقفاز.

(١) محمد في مكة: ص ٢١٣ ـ لوات.

ماهذا إلا للتوهين من شأن التضحية الجليلة والقدوة الحية التي أنارتها العقيدة وأشعلها الإسلام في قلوب الصحب المؤمن.

وأما تصور المؤمنين كسفراء يبحثون عن معونات عسكرية من هنا أو هناك فشيء يحمل روح السياسة الاستعمارية، التي يدور في فلكها هؤلاء المستشرقون، وعصر النزاعات الحزبية أو القومية التي تسيطر على عقولهم وأفكارهم، وهي فكرة قديمة تدور مع الصراعات الجاهلية والمظالم العالمية عودة على بدء، فليس الأمر أمر نصر عسكرى بقدر ما هو تبليغ للهداية، ونشر للرسالة، وتربية للقلوب والعقول، وبعث للهمم. وأن الذي كان المسلمون في حاجة إليه هو حماية للدعوة من الاضطهاد وحماية للأفراد من العذاب الأليم، حتى تبلغ الدعوة، وتصل إلى شغاف القلوب، وحتى يفتح الله عليها بالمسلمين أنفسهم، ويأتي الاستخلاف من الله، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان لايستعين بمشرك، ولا ينتصر في الدفاع عن الإسلام بكافر، وإنما كان ينتصر بجند الإيمان «وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا»[1].

ثم ماهو السندالذي يستدل به على ذلك، والأخبار والوقائع كلها تؤيد غير هذا، وتلفت النظر إلى السبب الحقيقي للهجرة. فقد أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم بعد سنتين من الدعوة: أنه لا قدرة له على حماية المسلمين، وأن المجتمع الوثنى ماض في اضطهادهم وفتنتهم عن دينهم. فرآى أن يحفظ اللبنات المسلمة من التمزق والانهيار، حتى يأتي دورها في العمل في ساحة الصراع المحتوم، فأشار على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة «فإن بها ملكا لايظلم أحد عنده» حتى يجعل الله للمسلمين فرجا مما هم فيه.

فاستجاب له المسلمون. وخرج عدد منهم من مكة صوب الساحل، كي تقلهم سفن مؤجرة إلى الحبشة، وخرج نفر من قريش في آثارهم فلم يدركوهم.

---

(١) سورة النور ـ ٥٥.

وكان هدفهم معروفاً: وهو الحفاظ على دينهم، وعقيدتهم، والدعوة إلى الدين الجديد، ولامانع أن يكسب كل مسلم قوت يومه الذي يقيم أوده، حتى لايكون عالة على الناس، ويواصل دعوته، وحفظ ماء وجهه. وقد أثمرت دعوتهم فأسلم النجاشى ملك الحبشة، وغيره من الأحباش، وغاظ قريشاً نجاح الدعوة وأمنها في الحبشة فأرسلوا رسلهم للوقيعة بين النجاشي وبين المسلمين، وكانت حجة قريش في ردهم: هي الخروج على الطاعة والإتيان بدين يخالف دين الآباء. وهي حجة تخالف مفهوم المستشرقين تماما، والذي يظهر لنا أن المستشرقين كانوا يفهمون غرض المؤمنين أكثر من القرشيين والمؤمنين أنفسهم.

يروى ابن هشام في السيرة: أن قريشا بعثت عمرو بن العاص وعبدالله بن أبى ربيعة إلى الحبشة يحملان الهدايا للنجاشي وبطارقته، وقالا له: إنه قد لجأ إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤا بدين مبتدع، لانعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم، ليردوهم إليهم» فمال إلى تسليم المهاجرين بعض بطارقة النجاشي، أما النجاشي فقد غضب وقال: لا والله، إذن لا أسلمهم، قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواى حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم.

وما لبث النجاشي أن دعا المهاجرين لحضور مجلسه، وعندما سألهم عن طبيعة الدين الذي دفعهم إلى مفارقة قومهم. تقدم جعفر بن أبى طالب وقال: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده، ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانات، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، ونهانا عن الفواحش وقول الزورو، أكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، ولا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ماجاء به من الله. فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من

عبادة الله، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورجونا ألا نظلم عندك، أيها الملك. فطلب منه النجاشي أن يقرأ عليه شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فتلا عليه صدر سورة مريم، فبكى النجاش حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم، وقال النجاشي «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما»[1].

هذا هو حديث المهاجرين عن أنفسهم، يعلنون عن أسباب هجرتهم في بيان واضح جلي، أفلا يكفي هذا صناع الأكاذيب، وأصحاب التنظير والتعقيد والافتراء؟.

وأما عن موضوع الخلاف بين الرسول وبين المهاجرين فهو موضوع تفوح منه رائحة التلفيق والتزوير الذي يظهر حجم الوقاحة والجرأة على الكذب الصراح. فكيف تكون هناك معارضة للرسول في بدء الدعوة والقرآن يتزل، والرسول هو المعلم، والمربي؟ وكيف وهو رسول يشرد الناس في الأرض لعداوات وخصومات، ثم أن ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوجها عثمان أبن عفان، وجعفر ابن عمه، من المهاجرين للحبشة، هل كانت بنت رسول الله تعارضه كذلك، هي وزوجها وابن عمه جعفر، ولقد عزم أبو بكر نفسه على الهجرة لولا أن أجاره بعض زعماء قريش، ثم رأينا كيف أرسلت قريش في طلب المهاجرين من النجاشي، أكانت تقصد بذلك أن تصلح بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أم ماذا؟

ثم رأينا كلام جعفر بن أبى طالب الذي روته كتب التاريخ جميعها، ورأينا فرح الرسول صلى الله عليه وسلم برجوع مهاجرى الحبشة كثيراً، حتى إنه قبل زعيمهم جعفر بن أبى طالب، واحتضنه قائلا: ما أدري بايهما أنا أسر، بفتح خيبر؟ أم بقدوم جعفر؟ وكان عدد العائدين من الحبشة قريبا من العشرين رجلا، وعدد من النساء والأطفال الذين ولدوا هناك، فضلا عن بعض الأرامل اللواتى توفى أزواجهن أيام الإقامة في الحبشة، وكان بعض المهاجرين قد غادر الحبشة في بداية عهد المسلمين

(١) ابن هشام ص ٧٥ ـ ٧٦ اليعقوبي: تاريخ ٢/ ٢٣ ـ ٢٤ الروض الأنف.

بالهجرة إلى المدينة، فمات بعضهم في مكة، واعتقل البعض الآخر، وتمكنت فئة ثالثة من اللحاق بالمدينة والاشتراك في معركة بدر، وما تلاها من مواقع[1].

(١) انظر ابن سعد في الهجرة الى الحبشة، ومحمد في مكة ملحق (و) و (ز) ودراسة في السيرة ص ٨٤.

المبحث الرابع
الطاعنون في عالمية الرسالة والرد عليهم

ندع هذه المغالطات التي فندت، وننظر إلى لون آخر من تزوير الحقائق، وتضليل الأجيال، وتحريف الكلم عن مواضعه، لخدمة الاستعمار، وبث الأحقاد، وتوهين أمر الرسالة وصاحبها وأمر المسلمين، وللتفلت من اتباع المعطيات الإلهية الصحيحة، والسير على الطريق المستقيم، حتى يظل الإشعاع الألهي حبيسا لا ينفذ إلى الناس فيفضح المارقين.

فعندما أغار الاستعمار على العالم الإسلامي كان عقله الظاهر والباطن ولسانه طافحين بالحقد على الإسلام وأمته، ومستغرقين في المكر بهذا الدين والقضاء عليه.

وكان اتجاهه إلى الاغتيال الكامل لهذه العقيدة، أن التهيئة لذلك بالتشكيك والتوهين حتى تحين الفرصة للخلاص منها. ومن هذا التوهين مايدعيه بعض المزورين من المستشرقين، ومنهم: «السيروليم وير» أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يدور في خلده وهو في مكة أن يمد بصره برسالته إلى غير أهلها، وإنما بدأ يفكر أن يتجاوز بها قريشا، ثم يجاوز بها العرب إلى دعوة أهل الكتاب، ثم يجاوز بها الجزيرة العربية إلى ما وراءها. كل هذا وأولئك بعد أن أغراه النجاح الذي ساقته الظروف إليه.

والحق أن الرسالات قبل الإسلام كانت محلية قومية محدودة بفترة من الزمن ـ مابين عهدى رسولين، ـ وكانت كل رسالة توصل إلى الأخرى وتؤهل لها، حتى جاءت الرسالة الأخيرة كاملة في أصولها، قابلة للتطبيق المتجدد في فروعها. وجاءت للبشر جميعا، لأنه ليس هناك رسالات بعدها للأقوام والأجيال في كل مكان، وجاءت وفق

الفطرة الإنسانية التي يلتقي الناس عندها جميعا، ولهذا تولى الله حفظها، ولم يترك حفظها إلى الناس علماء أو غير علماء مصداقا لقوله تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون».

وقد أوضح الله سبحانه وتعالى ذلك لرسوله وللناس من أول الطريق، وبين سبحانه أن الرسالة عالمية عامة للناس كلهم، وذلك في العهد المكي: قال تعالى:

١ ـ «وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا»(١)

٢ ـ «تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا»(٢).

٣ ـ «قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا»(٣)

٤ ـ «قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ»(٤).

٥ ـ «وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ»(٥).

هذه الآيات التي يؤمر الرسول فيها بتبليغ الرسالة إلى الناس جميعا هي آيات مكية، في سور مكية، فهم ذلك الصحابة والسلف الصالح والأمة الأسلامية.

قال ابن كثير: هذه الآيات خطاب للناس جميعا: الأحمر، والأسود، العربي، والعجمي، وهذا من شرفه وعظمته صلى الله عليه وسلم، لأنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة، لقوله تعالى:

٦ ـ «ومن يكفر من الأحزاب فالنار موعده» وقوله تعالى:

٧ ـ «وقل للذين أوتو الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد أهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ» والآيات في هذا كثيرة.(٦)

---

(١) سبأ ـ ٢٨ ـ
(٢) الفرقان ـ ١ مكية.
(٣) الأعراف ١٥٨ ـ مكية.
(٤) الأنعام ١٩ ـ مكية.
(٥) الأنبياء ـ ١٠٧ ـ مكية
(٦) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٥٤ ط المعرفة بيروت.

وقال الألوسى في روح المعانى: «أمر صلى الله عليه وسلم بأن يصدع بما فيه تبكيت لليهود الذين حرموا اتباعه، وتنبيه لسائر الناس على افتراء من زعم منهم أنه صلى الله عليه وسلم، مرسل للعرب خاصة.. وذلك ببيان عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وهي عامة للثقلين»(١).

قال الشوكاني في فتح القدير عن أبن عباس: بعث الله محمدا إلى الأحمر والأسود. والأحاديث في ذلك كثيرة(٢).

وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: «قال مقاتل من بلغه آية من القرآن من الجن والأنس فهو نذير له.

وقال القرطبي: من بلغه القرآن فكأنما قد رأى محمد صلى الله عليه وسلم، وسمع منه»(٣).

وقد صرح الرسول صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة في كثير من الأحاديث:ـ

ـ روى البخاري في حديث طويل في أبى بكر «هل أنتم تاركو لي صاحبي؟ إنى قلت: ياأيها الناس، إنى رسول الله إليكم جميعا فقلتم: كذب وقال أبو بكر: صدقت»(٤).

ـ وقال صلى الله عليه وسلم: «أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلي، بعثت إلى الناس كافة: الأحمر، والأسود، ونصرت بالرعب مسيره شهر، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأعطيت الشفاعة، فاخرتها لامتى يوم القيامة، فهي لمن لايشرك بالله شيئا»(٥).

---

(١) تفسير الالوسي روح المعاني م/ ٩ ص ٨٢ ط الفكر.
(٢) فتح القدير ٢/ ٢٥٥.
(٣) الجامع لاحكام القرآن جـ ٦ ص ٣٩٩ ط دار الكتب.
(٤) البخاري ٧/ ١٧/ ١٨ باب فضائل الصحابة.
(٥) رواه أحمد بسند جيد، والبخاري ومسلم ١/ ٣٦٩، م/ ٥٢١.

ـ وروى مسلم عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من سمع بى من أمتى، أو يهودى، أو نصراني، فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة» وفي رواية «والذي نفسي بيده لايسمع بي رجل من هذه الأمة: يهودى، أو نصراني، ثم لايؤمن بي إلا دخل النار» مسلم(١).

فكيف بعد هذا يستسيغ عاقل أن يقول بعدم عموم الرسالة من أول يوم.

وقد استنكر هذا جماعة من المستشرقين الذين لم يجدوا مسوغاً أو سندا لهذا القول المتجنى الكاذب.

ـ يقول أرنولد: «لم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب بل للعالم أجمع نصيب فيها، ولم يكن هناك غير إلٰه واحد، كذلك لا يكون هناك غير ذين واحد، يدعى إليه الناس كافة»(٢) ويؤيد هذا الرأى كولد زيهر، ونولدكه، وسخاو.

ـ ويقول: سخاو ويؤكد: «إن الرسالة الإلهية ليست مقصورة على العرب، بل إن إرادة الله تشمل جميع المخلوقات، ومعنى ذلك خضوع الإنسانية كلها خضوعا مطلقا، وقد كان لمحمد ـ بوصفه رسولا من الله ـ حق المطالبة بهذه الطاعة، وقد كان عليه أن يطالب بها، وهذا ماظهر من أول الأمر جزءا لاينفصل من جملة ما أراد تحقيقه من مباديء»(٣).

مكمن القوة والخطر:

والواقع أن قول سخاو قد أبان الحقيقة وكشف عنها، ففضح من حيث يدري أو لايدري أغراض المستشرقين، وهي خوفهم من حق الرسالة في إخضاع العالم للدين القيم، إذا لم يتم تحويلها عن غايتها وقصرها على العرب فقط، فهم بهذا يجهدون أن يحجموا العملاق الإسلامي، وأن يوجهوا أنظار العالم عن هذه الحقيقة، وأن يشوشوا

---

(١) مختصر مسلم ـ م ١/ ٩٣ للمنذري، وصحيح مسلم برقم ١٥٤ في الايمان.
(٢) محمد في مكة ص ٩٤.
(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٥٣، ٥٤ مناهج المستشرقين جـ ١ ص ١٣٤.

على المسلمين كذلك ويبعدوهم عن هذا الفهم، وهذه الريادة التي يتولونها بحكم أنهم أمة رسول الله الخاتم، صاحب الرسالة العامة، والتي قلدهم القرآن والرسول الدعوة إليها بقوله: «قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ»(١) «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ»(٢) «لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا».(٣)

وهم بهذا يريدون تحجيم الرسالة، والغاء فريضة الجهاد، والدعوة إلى الله في أنحاء المعمورة، وتبليغ الناس هذا الهدى، ليكون الدين كله لله، وإبعاد النور الذي يجب أن يزحف على العالم، فيزيل البهتان، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، إلى صراط العزيز الحميد».

ذيول وخدم:

وليست البلية في أن يرصد أهل الكتاب كيدهم كله لهذا الدين وأهله، وأن يكون المستشرقون الذين يكتبون مثل هذا الكذب هم طليعة الهجوم على هذا الدين وأهله، فهم أعداء، وهذا ماينتظر من العدو.

ولكن البلية الكبرى أن كثيرا من السذج الأغرار ممن يسمون أنفسهم بالمسلمين يتخذون من هؤلاء المزورين على نبيهم ودينهم، المحاربين لهم ولعقيدتهم، أساتذة، يتلقون عنهم في هذا الدين نفسه، ويستشهدون بما يكتبون عن هذا الدين وحقائقه، بل قد يتبنون آراءهم وينسبونها إلى أنفسهم، ليظهروا أمام الناس بأنهم رواد فكر جديد، وفهم جديد، ويزعم هؤلاء السذج المخدوعون للناس ولأنفسهم أنهم مثقفون.

وقد استمات المستشرقون في تربية هذه الأجيال التابعة الذليلة وتصديرهم

---

(١) يوسف ـ ١٠٨

(٢) آل عمران ـ ١١٠

(٣) البقرة ـ ١٤٣,

ذيولا، مدجنين مخدرين طلائع لهذا الانهزام المر، بدعوى الإصلاح في وقت عصيب، فتصاب الأمة ببلايا كثيرة، مُنها: تشعب الطرق، ولفت الناس عن الدواء الصحيح، ومحاربة الحق، وإيجاد مسوغ للتسيب، وعدم الجد والقيام بالتبعات، وإفساح المجال للاستعمار الثقافي، والوهن. والتخلي عن دور الريادة والصدارة، والفصل بين المسلمين وبين القرآن والسنة، أو انحراف الفهم عنهم.

طلائع الهدم:

وقد نلاحظ اليوم بين الحين والحين نفس الدعوى ينادى بها وللأسف نفر من المثقفين المسلمين المستغربين، منهم الدكتور محمد أحمد خلف الله: الذي يعلن أن الإسلام ليس إلا نظاما دينيا للأمة العربية، نزل من السماء، ليكون بديلا عن الأنظمة الأخرى التي كانت الأمة تمارسها، ثم قال: إن الإسلام جرب أولا في جزيرة العرب، وحين نجحت التجربة خرج به الذين جربوه إلى أمم أخرى غير العرب. فقد قصر بذلك التوسع في المفهوم الإسلامي، وإخراجه إلى العالم على أتباع الرسول ـ وليس على الرسول كما يقول المستشرقون، ـ فأضاف شيئا جديدا، فكان مستشرقا أكثر من المستشرقين، «ثم قال في الأهرام الذي نشره في ١٩٨٧/٩/١٦م موضحا فكرته، ومبينا أن عالمية الرسالة ليست من عند الله، ولا يليق به سبحانه وتعالى ذلك. فقال مانصه: «لايليق أبدا بالمولى سبحانه وتعالى أن يضع لغير العرب شريعة باللسان العربي المبين» وقد تولى الأستاذ فهمي هويدي نقل رأي خلف الله والرد عليه. ومكملا ماسبق من واقع ماذكر في مقاله السابق، ومحاضراته في الكويت سنة ١٩٨٢م في رابطة الأدباء، بعنوان «العروبة والإسلام» ومحاضرته التي القيت في ندوة في بيروت سنة ١٩٧٨م بعنوان «العروبة والإسلام علاقة جدلية»، ونشرت في كتاب الندوة ص ٣٢ ومابعدها. ونشر في الوطن الكويتية بتاريخ ٢٧/ أكتوبر سنة ١٩٨٧م العدد «٤٥٥٦» وقد تولى الرد على خلف الله الأزهر، وكثير من العلماء، في جريدة الأهرام القاهرية، وغيرها، في شهر ٩/ ١٩٨٧م وما بعده، وتوالت الردود عليه في العالم الإسلامي، ولسنا الآن في مقام الرد عليه، وإنما في مقام ضرب المثل على تبنى هذه الأفكار لأعداء الأمة الإسلامية، والزيادة عليها إن أمكن، وبيان إفساح المجال لهؤلاء، وتبنيهم في

غفلة من المسلمين. وهذا وأمثاله هو ما أهاج شوقي رحمه الله إلى بكاء هذا الحال، فقال مناجيا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

شعوبك في شرق البلاد وغربها   كأصحاب كهف في عظيم سبات
بأيمانهم نوران ذكر وسنة   فما بالهم في حالك الظلمات

ولكن الذي يلفت النظر تلك الجرأة الغريبة على إنكار النصوص على عالمية الرسالة من القرآن، ومن السنة، ومن أقوال العلماء، من سلف الأمة على مدار التاريخ الإسلامي، ممن يدعون أنهم مسلمون، وينتمون إلى الإسلام «ألا يفتح هذا الباب لتجريح الاعتقاد» لمن يقول بتلك الآراء، منكرا معلوما من الدين بالضرورة، وألا يفتح هذا الباب للفتنة التى تجر إلى تصرف من الغيورين الذين يتهمون بالتطرف، فتشغل الأمة عن جلائل الأعمال، أم أن الانحراف هذا شيء مراد، ولوضحي في سبيله بكل شيء؟

«فياله من عمل صالح   يرفعه الله إلى أسفل»

أم أن الدخلاء على الثقافة في الأمة يريدون دائما أن يشيعوا بما لايحبون، ويذكروا بما يكرهون كأمثالهم.

لتبك على الفضل بن مروان نفسه   فليس له باك من الناس يعرف
لقد صحب الدنيا منوعا لخيرها   وفارقها وهو الظلوم المعنف
إلى النار فليذهب ومن كان مثله   على أى شيء فاتنا منه ناسف

السحر والدجل:

الأحقاد والأضغان كثيرا ماتفعل فعلها في عقول أصحابها وألسنتهم وخيالاتهم، وحينما نسمع إلى الأغاليط الجديدة من الحاقدين، نعرف مقدار الحقد على ديننا وعقيدتنا، بل وكياننا، ولايكفى أبدا أن نتعامى أو نتغابي عن أشياء يجب الحذر منها ومعالجتها في رؤوس أصحابها، ووضع الصورة الصحيحة بلا تحريف ومن يستطيع أن

يضع تلك الصورة إلا الواعون الباحثون.

وفي الحقيقة يجب تبديل الصورة القاتمة عن الإسلام في رؤوس المجتمع العالمي، إذا أردنا دعوته واحترامه لنا، أو تأييده، فضلا عن دعوته إلى الإسلام. أما أن يظل الإعلام اليهودي الحاقد الغازي الطافح بشهوة الإبادة للمسلمين، والإعلام الصليبي الأسير لرواسب الماضي الهالع، والمشبع بالأضغان والكراهية يعمل عمله، والمجتمع الإسلامي غافل، وفي سبات عميق، أو فاقد للوعي والإدراك، فهذا شيء يدعو إلى الجزع والهلع.

أن العقلية العالمية مختلطة بإيحاءات مضللة، اكتشفها غيرنا، بل اكتشفها نفر من المحسوبين على المستشرقين أنفسهم.

يقول منتجمرى وات في كتابه أثر الحضارة الإسلامية العربية على أوربا ص ١٤٤ : بعض المعلومات تصل إلى الأوروبيين عن الإسلام بالتأكيد مشوهة ومشوبة بمعطيات خاطئة.

فقد كان ينظر إلى المسلمين على أنهم قوم وثنيون، يعبدون محمدا، أما محمد نفسه فكان الأوروبيون يعتبرونه ساحرا، أو حتى شيطاناً، وهو ما تؤكد عليه الكلمة الإنجليزية Mohonnd (بالإسكوتلاندية ـ «الشيطان») التي كانت تشويها لاسمه. وكانوا يظنون أن الدين الإسلامي يدعو إلى الإباحية الجنسية، ثم يقول في ص ١٤٩ وغالبا ما كانت الآيات القرآنية تترجم بصورة غير صحيحة بحيث تدخل عليها مسوح جنسية ذميمة لم تكن لها، كما قالوا : إن القرآن يسمح باللواط ووجد بعض المؤلفين آية قرآنية تبيح الزنى على حد زعمهم، ويقولون : إن محمدا ليس نبيا، وإنما هو دجال، وإن المسلمين يجب أن يصنفوا مع الوثنيين(١).

ثم يرد الرجل في كتابه محمد في مكة ص ٩٤، على هذه الأباطيل فيقول : كيف «إن عزيمة محمد في تحمل الاضطهاد من أجل عقيدته والخلق السامي للرجال

(١) انظر في ذلك أثر الحضارة الإسلامية العربية على أوربا لمنتجمري وات ص ١٤٤، ١٥١.

الذين آمنوا به، وكان لهم بمثابة القائد والمثل، وأخيراً عظمة عمله في منجزاته الأخيرة، كل ذلك يشهد باستقامته التي لاتتزعزع فاتهام محمد بأنه دجال Impostur يثير من المشاكل أكثر مما يحل، ومع ذلك فليس هناك شخصية كبيرة في التاريخ حط من قدرها في الغرب كمحمد. فقد أظهر الكتاب الغربيون ميلهم لتصديق أسوأ الأمور عن محمد، وكلما ظهر أى تفسير نقدي لواقعة من الوقائع ممكنا قبلوه.. فإذا أردنا أن نصحح الأغلاط المكتسبة في الماضى بصدده، فيجب علينا في كل حالة من الحالات، لايقوم الدليل القاطع على ضدها، أن نتمسك بصلابة بصدقة، ويجب علينا ألا ننسى إيضا أن الدليل القاطع يتطلب لقبوله أكثر من كونه ممكنا. وأنه في مثل هذا الموضوع يصعب الحصول عليه»(١).

ونقول: إن الحق مهما طال الزمن فهو الحق، ولابد أن يظهر لكل ذى عينين، ولكن من الملام؟ ومن المسئول عن هذا التقصير الإعلامي؟ فضلا عن الإهمال الدعوى؟ وإذا كان المجتمع المسلم أصبح لايغار على سب دينه وعقيدته، وسب رسوله، وعلى تصنيفه مع الوثنيين والمتوحشين، وهو هو حامل الحضارة إلى الدنيا، ومحرر العالمين. في حين أنه لو سب صاحب رياسة من هذه الرياسات الدنيوية لقامت الدنيا وقعدت، ولكن يظهر أن الأمر أصبح كما يصوره القائل:

يقاد للسجن أن سب المليك وإن ... سب إلا له فإن الناس أحرار

(١) محمد في مكة لمنتجري وات ص ٩٤.

المبحث الخامس
الإسلام في العقل البلشفي

أما الروس فإنهم قد أطلقوا لأنفسهم العنان في التخيل والشطط ، والتأويل والتمزيق، حتى أصبحت وقائع السيرة في واد، وهم في واد آخر، وحتى لقد وصل الأمر بهم أن يتساووا مع المجانين في الهذيان وفقدان العقل، وكمثال على تخبط هؤلاء في كثير من أحكامهم ننظر إلى بعض من أقوالهم.

«لقد رأى بعضهم أن المجتمع العربي (في مكة والمدينة) شهد بداية تكوين مجتمع يمتلك الرقيق. بينما يرى (بيجو لفسكايا) أن القرآن يشعر بتركيز مرحلة ملكية الرقيق. ويذهب (بلاييف) إلى أن المرحلة الإقطاعية هي من آثار اتصال العرب بالشعوب الأخرى.

هذا ويرى آخرون: أن المجتمع الإقطاعي بدأ بالتكوين فعلا فور ظهور الإسلام.

ويتبع هذا قلق في التفكير وفي التفسير. فمنهم من يرى أن الإسلام يلائم مصالح الطبقات المستغلة الجديدة: من ملاك وإرستقراطية الإقطاع مثل «كليموفيج» ومنهم من يقول عكس هذا، فيرى الإسلام في مصلحة إرستقراطية الرقيق فقط .

ومنهم من يرى غير ذلك مثل (بلاييف)، الذي يرى أن الإسلام الممثل بالقرآن لا يلائم المصالح السياسية والاجتماعية للطبقات الحاكمة، ولذلك لجأ أصحابه إلى الوضع في الحديث، لتسويغ، الاستغلال الطبقي الجديد[1]

(١) انظر في ذلك تفسير التاريخ عبد العزيز الدوري ورفاقه ص ١٤، ١٦.

والملاحظ أن التخبط السوفيتي الفكري تتقاذفه هواجس الإقطاع والإرستقراطية، وطبقات الرقيق والمستغلين، إلى غير ذلك، وكلما عثروا على خبر أو واقعة يمكن أن يفهم منها شيء ينال من الإسلام في نظرهم سارعوا إلى الحكم بها، إرضاء لنوازع معينة، وأهواء شتى تتحكم في مسارهم وحياتهم على حد سواء، بغير نظر إلى دليل أو حجة أو منهج علمى معين.

هل الرسول شخصية حقيقية:

ويضطرب الموقف بالنسبة للرسول والإسلام ذاته عند السوفيت البلاشفة، اضطرابا كبيرا في وجود الرسول، وحقيقة الإسلام ذاته، فيدعى (كليموفيج) أن محمداً صلى الله عليه وسلم واحد من عدة أنبياء ظهروا وبشروا بالتوحيد، ويقصدون (توحيد القبائل) في حين يذهب (تولستوف) إلى نفي وجود النبى عليه السلام، ويعده شخصية اسطورية ثم يقول: «ان الإسلام نفسه نشأ من أسطورة صنعت في فترة الخلافة، لمصلحة الطبقة الحاكمة، وهي أسطورة مستمدة من اعتقادات سابقة تسمى الحنفية»[1].

لا يخفى على أى عاقل هذا الهراء، وهذه السذاجة والاستخفاف بالعقول، وبالقيم العلمية، وبالتاريخ، وبالحقائق الثابتة، مما لا يجعل لهذه الآراء أي قيمة علمية على الإطلاق.

الإسلام مجموعة من الصراعات:

ثم يصور بعض البلشفيين الإسلام على أنه مجموعة من الصراعات النفسية والطبقية والاتفاقات الحزبية على مصالح مراكز القوى في شعب معين. ويقترب هذا النوع من الباحثين كثيرا بمن على شاكلتهم: من المستشرقين الغربيين، والرهبان الكنسيين الحانقين على الإسلام والمسلمين، أصحاب التفسيرات المادية المتهافته

(١) انظر طبقات فحول الشعراء ١/٢٤٨ ط الحلبي بمصر بتحقيق ابي الفضل وجاد المولى، ومناهج المستشرقين ١/١٤٠.

لوقائعه وحوادثه فيكونون بحق ممثلين متمرسين للكهنوت المادي البلشفي.

فيقول أحد أبناء الفكر المادى البلشفى «بندلى جوزى»[1] محللا بعض مواقف رسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام: إن سياسة النبى مع المكيين قد تغيرت كثيرا في المدينة تحت تأثير عوامل جديدة، ولأسباب عديدة، أوجدتها الظروف، وأدى إليها الاختيار، وحب النبى لوطنه الأصلى وأهله وذويه إلى غير ذلك من الانفعالات النفسية والعوامل السياسية التي ظهرت بعد مواقع «بدر وأحد وحصار المدينة» وكان من نتائجها أن النبى أخذ يلطف من سياسته نحو إخوانه المكيين. كما أن أصحاب السلطة في مكة رأوا بعد ما أصابهم في موقعة بدر، وبعد ما لحق بتجارتهم من الخسائر أن يتساهلوا في أمور كثيرة مع النبى على شروط تضمن بقاء الكعبة والحج وعكاظ على ماكانت عليه قبل الإسلام. وأن يشملهم بالعفو، ويشركهم في عمله الجديد الذي أخذوا يتوقعون منه خيرا. وربما كان من شروط التفاهم أن يبقى النبى في المدينة وألا يتعرض في كلامه لأمورهم المالية، فكانت الحديبية وسياسة «تأليف القلوب» أو بعبارة أخرى سياسة التسامح والتساهل المتبادل.

.فصار الناس «يدخلون في دين الله أفواجا»، لا عن اعتقاد في صحة الدين الجديد الذي لم يكونوا يعرفون عنه إلا الشيء القليل، بل عن رغبة في التقرب من أصحاب السلطة الجدد، وحفظا لمراكزهم القديمة وثروتهم المجموعة في أجيال.

ويقول جوزى: إن من جملة الشروط التي اتفق عليها الطرفان في الحديبية أو في زمان أو مكان آخرين أن يكف النبى عن الطعن في الملأ المكى. وألا يحرضوا صعاليك العاصمة الحجازية وأرقائها عليه، وهذا على مايظهر لي أحد أهم أسباب خلو السور المدنية لاسيما تلك التي نزلت في الدور الأخير، من العبارات القارصة، والطعن في سكان مكة».

---

(١) بندلي جوزي ١٨٧١ ـ ١٩٤٢ نصراني شيوعي، من أهل القدس، تخصصي في قازان باللغات السامية والدراسات الشرقية، وتولى التدريس في معهد الرهبان، ثم في جامعة باو، إلى أن توفى، وقد عده المستشرقون الروس مرجعا من مراجعهم: انظر كتاب «المستشرقون» نجيب العفيفي ٣/ ٩٣١.

وهناك سبب آخر لايقل خطورة عن الذي ذكرناه الآن، وهو أن حالة النبى الاجتماعية في المدينة تغيرت كما هو معلوم، تغيرا ظاهرا أدى إلى تغيير نفسيته.

فكان من نتائج هذا التغيير ومن الأسباب التي ذكرنا بعضها وغيرها مما لم نذكر، أن بعض إصلاحات النبي الاجتماعية والدينية جاءت مبتورة، وفيها شيء مما يقوله الأوربيون[1].

ويمضى بندلى جوزي، إلى القول: «إن الدور المكى كان دور تمهيد واستعداد، دور بث دعوة جديدة، بين طبقات الأمة، ودور حرب ونزاع كلامى بين رجل ثابت في مبادئه، مخلص في عمله، وبين طبقة من الناس شعرت بالخطر على ثروتها وزعامتها في البلاد، فهبت تقاوم ذلك الرجل وتناوئه: دور جهود وأحلام لو تحققت كلها لقلبت البلاد كلها رأسا على عقب، ما أجمل هذا الدور، وما أعظمه، وما أحلى تلك الأحلام والمساعى التي بذلت في تحقيقها!.

وأما الدور الثاني فكان دور عمل وتنظيم، ودور هروب وافتتاحات، ودور سياسة ومكاشفات، أدت إلى تساهل من الطرفين، ومعين التساهل في مثل هذه الثورات الاجتماعية هو التنازل عن بعض مطالب أو مبادىء، أو تلطف في الطلب، والرجوع عن بعض الأفكار ـ أو وضعها في قالب يرضاه الفريقان، وهذا ماكان من أمر النبى العربي ورئيس جمهورية مكة أبى سفيان، الخبير المحنك، الذي كان يتكلم بلسان الملأ المكي، هذا يعترف بسيادة النبى الروحية والعالمية، ويهجر الأوثان، ويؤدي الزكاة، ويقيم الصلاة، وذاك يتعهد أن تبق مكة مركز البلاد العربية الدينى، وأن يجعل لأعيان مكة وقادة أفكارها حظا في إدارة المملكة، أو الجمهورية الروحية الجديدة، وأن يتركهم وشأنهم يتاجرون ويعيشون كما يشاؤن أما الفريق الثالث الفقراء، وهو الطرف الذي استعرت الحرب لأجله، وظهرت الدعوة لتحسين أحواله، فقد أرضوه في بادىء الأمر بشيء من الصدقات والزكاة، ثم نسوه أو تناسوه بعد وفاة النبى صلى

(١) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ص ٤٩ ـ ٥٠.

الله عليه وسلم وخلفائه الأولين، فرجع إلى حالته الأولى بل إلى ماهو أسوء منها[1].

الخروج عن كل القيم والمناهج العلمية:

هذا الكلام الخارج على المنطق والعقل هو غاية مايمكن أن يصل إليه إنسان لايحترم نفسه وعقله وهذا العبث الصريح بالوقائع والحقائق العلمية يمثل كارثة فكرية تتعرض لها الإنسانية، ويشارك فيها عصابات السلب والنهب لمقدسات الأمم وتراث الشعوب.

ماهذا الهذيان. الرسول أسطورة، والإسلام أسطورة، أي أسطورة يتكلم عنها هؤلاء المجانين؟ أهم في كوكب غير هذا الكوكب؟ أم في عالم غير هذا العالم؟.

لقد قام الإسلام بإحياء الدنيا زمانا يربو على الألف عام، وقامت تعاليم القرآن الموحاة على هذا الإحياء إلى اليوم، وقد ملأ الفكر الإسلامي بسنده مكتبات الدنيا وبيوتها وصدورها.

وأجمعت الدنيا متواترة أخبارها على ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعايشته، وجهاده في سبيل الله، وبلاغه للقرآن الكريم، والدعوة المباركة، ورصد أقواله، وأفعاله، وتقريراته، وصفته الخلقية، والخلقية، مما يغنينا عن الرد على هذا العواء الأهوج، ويحق لنا أن نتساءل: أيحق للإنسان أن يعارض كل الناس، وكل الحقائق، وكل المناهج العلمية، وكل الدلائل والقرائن، ثم يدعى أنه عاقل يسمع له قول ويحترم له نطق.؟

ثم نرى البعض الأخر يعترف بالرسول والإسلام، أو يسايرنا في اعترافنا، ثم يبدأ يفسر الحوادث على وفق شهواته وشهوات أسياده، فيتصور معاهدات الصلح في الحديبية تنازلات إسلامية لإرضاء قريش على حساب الدعوة الإسلامية، وحساب المبادىء والأهداف، ويوزع الأسلاب أو المنافع والرياسات والمنح، على الرؤساء القرشيين، تبعا لمكانتهم وتبعا لمراكز القوى المختلفة، وفي النهاية يفوز محمد ورؤساء

(١) نفس المرجع السابق ص ٥١، ٥٢.

قريش، ويضيع المستضعفون الفقراء الذين قسموا لهم بعض الصدقات ذرا للرماد في العيون، وتتبلور القصة في الصراع الذي دائما تدور حوله الشيوعية.

ويدور الأمر على نحو معين، وينتهي إلى تقسيم الأمور على النحو الثاني، بعد تنازلات محمد عن دعوته حبا في قومه، وشفقته عليهم، فهو لم يقصد في الحقيقة إزالة الشر بقدر مايقصد الاخضاع والرياسة، وتؤول الأمور في الاتفاق إلى مايلي:

الفريق الأول: محمد ومن معه: يكفون عن سب الآلهة وسب الملأ المكي، وتكون لهم السيادة الروحية.

الفريق الثاني: قريش: الكف عن تحريض صعاليك الحجاز على محمد: ويكون لهم بقاء الكعبة والحج وعكاظ والسيادة السياسية في إدارة الجمهورية الجديدة والحرية المالية.

الفريق الثالث: الفقراء: الخضوع التام ويجعل لهم بعض الصدقات والمعونات، ولا طمع لهم في شيء بعد هذا ولم يلبث هذا، الحق أن منع بعد الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولا أدرى أي الأمور الإسلامية في العقيدة أو الأخلاق أو الغايات تنازل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وشروط صلح الحديبية متواترة بنصوصها الحرفية في كافة المصادر والمراجع. ولم يكن فيها هذا الهراء، ثم ماهي الرياسة التي أخذتها قريش، وولاهم إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، أو للمشركين فيمن بعده، ومبدأ الرياسة الكفاءة والدين واختيار الأمة، وليس بالطلب، لقوله لصلى الله عليه وسلم «لا نستعمل على عملنا من أراده» اخرجه مسلم. وقوله صلى الله عليه وسلم لعبدالرحمن بن سمرة «ياعبدالرحمن لاتسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وان أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها» رواه مسلم.

ونسوق حادثة واحدة لعلها تغني عن الرد المطول:

عن الحسن قال: حضر باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه سهيل بن عمرو، والحارث، وبلال، وتلك الموالي الذين شهدوا بدرا، فخرج إذن عمر، فإذن لهم، وترك هؤلاء. فقال أبو سفيان: لم أر كاليوم قط، يأذن لهؤلاء العبيد، ونحن على بابه لايلتفت الينا؟

فقال سهيل بن عمرو ـ وكان رجلا عاقلا ـ: أيها القوم، إني والله أرى الذي في وجوهكم، إن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم. دعي القوم ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم؟ أما والله لما سبقوكم إليه من الفضل مما لاترون أشد عليكم فوتا من بابكم هذا الذي كنتم تنافسون عليه. قال: ونفض ثوبه وانطلق[(١)].

فأين هي سطوة زعماء قريش التي يدعيها هؤلاء البلاشفة؟ وأين هي مكانتهم المزعومة التي يحاول أصحاب الوهم التاريخي أن يثبتوها، وأن ينسجوا حولها قصة التنازلات؟.

أما قصة الفقراء والعامة الذين أعطوا شيئا من الصدقات ثم منعت عنهم ورجعت مكانتهم إلى ماكانت عليه من هضم للحقوق ومنع للمعونات، فهذه فرية مفضوحة.

ما كان الخليفة إلا راعيا للفقير، ومحافظا على مصالحه، ومقيما للعدل بين الناس، وحافظا للحقوق وحاميا للأمة. أما أنه كان محافظا على الحقوق حاميا للعدالة فلقوله تعالى:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ

(١) صفة الصفوة ١/ ٧٣٢

أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا»[(١)] «مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ»[(٢)].

وقد قال صلى الله عليه وسلم «إن الله يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته»[(٣)]، ونرى أبا بكر الصديق رضوان الله عليه يقول في أول خطبة له: أيها الناس: «إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق»[(٤)].

وأما عن إعانته للضعيف، فقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه، يحلب للحيّ أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحى: الآن لا تحلب لنا منائح دارنا، فسمعها أبو بكر رضى الله عنه فقال: بلى! لعمرى لأحلبنها لكم، وإنى لأرجو أن لا يغيرنى ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، «وأما عن منع الزكاة عن الفقراء فنحن نعلم موقف أبى بكر وقتاله من أجلها، ومازالت إلى اليوم فريضة لأزمة، وركنا من أركان الإسلام، وقد ظلت العدالة وبقى العطف على الفقير سمة من سمات المجتمع، وعلامة صحية على سلامة القائمين عليه على مر الدهور.

في عام ١٠٠ من الهجرة، أي منذ ثلاثة عشر قرناً شكت جارية سوداء تسمى فرتونة إلى أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز بأن لها حائطا قصيرا يقتحم منه عليها السارق، فيسرق دجاجها، فأرسل عمر فورا إليها يخبرها أنه أرسل إلى والي مصر يطلب إليه أن يصلح لها حائطها ويحصن لها بيتها، وكتب إلى واليه في مصر أيوب بن شرحبيل: إن فرتونه مولاة ذي أصبح قد كتبت إلى تذكر قصة حائطها، وأنه يسرق منه دجاجها، وتسأل تحصينه لها. فلما وصل الكتاب ركب الوالى بنفسه إلى الجيزة، ليسأل عن فرتونة حتى عثر على محلها، فإذا هي سوداء مسكينة فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين، وحصن لها بيتها[(١)].

---

(١) النساء ـ ١٣٥

(٢) غافر ـ ١٨

(٣) البخاري ٨ / ٢٦٧م (٢٥٠٨٣)

(٤) صفة الصفوة ١/ ٢٦٠

(١) من روائع حضارتنا للسباعى ص ٧٢

هذا هو الإسلام وهذه هي سمته. ولكن أنى لأصحاب الأغراض الخبيثة أن يعرفوا الحياء! وقد صدق القائل.

.. إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح فأصنع ما تشاء
فلا والله مافي العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما إستحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاء(٢)

وهذا هو عمل الأعداء وشأنهم، ولكن كيف بمن يقلدون ويسيرون على دربهم، ويعملون عملهم، ويواصلون مهمتهم من الخونة والجاهلين. وصدق القائل:

قد كان ثم أبو رغال واحد واليوم آباء الرغال كثير.

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر
١ ـ أثر الحضارة العربية	منتجمري وات	الثقافة والإرشاد القومي ـ
على أوروبا		دمشق
٢ ـ أجنحة المكر الثلاثة.	عبدالرحمن حبنكة	
٣ ـ الإسلام على مفترق	فايس «محمد أسد»	دار القلم
الطرق.		دار العلم للملايين ـ
٤ ـ أضواء على التاريخ	فتحي عثمان	بيروت سنة ١٩٦٥م.
الإسلامي.		القاهرة.
٥ ـ أضواء على	مصطفى السعدني	
الصهيونية.		القاهرة المجلس الأعلى
٦ ـ الأفعى اليهودية في	عبدالله التل	للشئون الإسلامية ١٩٦٩م.
معقل الإسلام.		المكتب الإسلامي.
٧ ـ أنساب الأشراف،	البلاذري	
الجزء الأول.	تحقيق: محمد حميد الله	دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩م.
٨	معهد المخطوطات الجامعة	
	العربية.	
٨ ـ تاريخ الإسرائيليين.	شاهين مكاريوس	
٩ ـ تاريخ الدولة العربية.	فلهاوزن يوليوس	المقتطف
	ترجمة: محمد عبد	لجنة التأليف والترجمة والنشر
	الهادي أبي ريدة	القاهرة سنة ١٩٦٨م.
١٠ ـ تاريخ الرسل	الطبري	
والملوك.	تحقيق: محمد أبي	دار المعارف ـ القاهرة (١٩٦١ ـ
	الفضل ابراهيم	١٩٦٢).
١١ ـ تاريخ الشعوب	بروكلمان	
الإسلامية.	ترجمة: فارس البعلبكي	دار العلم للملايين،
		بيروت سنة١٩٦٨م.

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر
١٢ ـ تاريخ العرب في الإسلام (السيرة النبوية) الجزء الأول	جواد علي	بغداد مطبعة الزعيم سنة ١٩٦١م.
١٣ ـ تاريخ مسلمي أسبانيا، الجزء الأول.	دوزي رينهات ترجمة: حسن حبش	المؤسسة المصرية العامة، دار المعارف القاهرة ١٩٦٣.
١٤ ـ تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام.	ولفنسون إسرائيل	مطبعة الاعتماد، القاهرة سنة ١٩٢٧م.
١٥ ـ التبشير والاستعمار في البلاد العربية.	عمر فروخ الخالدي	المكتبة العصرية، بيروت سنة ١٩٧٠م.
١٦ ـ التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للبخاري ـ الطبعة الثانية.	ابن المبارك	دار الإرشاد بيروت ١٣٩٦هـ
١٧ ـ التفسير الإسلامي للتاريخ ـ عماد الدين خليل.	عماد الدين خليل	بيروت ١٩٧٤م.
١٨ ـ دراسة في السيرة ـ الطبعة الخامسة.		مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٩٨١م.
١٩ ـ في التاريخ الإسلامي ـ فصول في المنهج والتحليل.		المكتب الإسلامي بيروت سنة ١٩٨٠م.
٢٠ ـ تفسير التاريخ.	عبد العزيز الدوري	مكتبة النهضة
٢١ ـ تهذيب سيرة ابن هشام	ابن هشام تحقيق: عبد السلام هارون	المؤسسة العربية الحديثة

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر
٢٢ ـ الحروب والشعوب.	بدر الدين السباعي	دار ابن الوليد «حمص» ص ٣ سنة ١٩٥٧م.
٢٣ ـ حضارة العرب.	غتساف لوبون	
٢٤ ـ حقيقة اسرائيل.	محمود شيت خطاب	الحلبي
٢٥ ـ حياة محمد.	هيكل. «محمد حسين»	القاهرة
٢٦ ـ حياة محمد	درمنغم ترجمة: عادل زعيتر ـ الطبعة الثانية	دار احياء الكتب العربية القاهرة سنى ١٩٤٩ م.
٢٧ ـ الخطر المحيط بالإسلام	جواد علي ترجمة: وهبة عز الدين ـ بغداد سنة ١٩٦٥م.	
٢٨ ـ دائرة المعارف البريطانية المجلد ١٣ ط سنة ١٩٤٦م.		
٢٩ ـ الدعوة إلى الإسلام.	أرنولد، سيرتوماس ترجمة: حسن إبراهيم	مكتبة النهضة القاهرة سنة ١٩٧١م.
٣٠ ـ الديانات والحضارات.	حسن ورفاقه طه مدور	بيروت
٣١ ـ سنن الترمذي.	محمد شاكر	الحلبي – القاهرة
٣٢ ـ مكائد: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي.	مصطفى السباعي	المكتب الاسلامي.
٣٣ ـ سيرة ابن هشام.	محمد عزة	الحلبي.
٣٤ ـ سيرة الرسول، صور مقتبسة من القرآن الكريم.	دروزة	مطبعة عيسى البابي القاهرة سنة ١٩٦٥م المعرفة الجامعية – الاسكندرية

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر
٣٥ ـ سيكولوجية الحياة الاجتماعية.	ماهر محمود	المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية.
٣٦ ـ صفوة الصفوة	ابن الجوزي.	دار المعرفة بيروت.
٣٧ ـ كتاب الطبقات الكبيرة.	ابن سعد تحقيق: ادوارد سخا ورفاقه	طبع مصور عن طبعة ليدن ـ ابريل سنة ١٣٢٥ هـ.
٣٨ ـ العقيدة والشريعة.	جولد تسهير	مصر ١٩٤٨م.
٣٩ ـ العلوم السيكولوجية.	سيد خيرالله	عالم الكتب ـ القاهرة.
٤٠ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري.	ابن حجر العسقلاني	السلفية.
٤١ ـ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.	د. محمد البهي	دار الفكر بيروت «الطبعة الخامسة»